# مجلة جامعة البعث

## سلسلة العلوم التاريخية والجغرافية والاجتماعية

**مجلة علمية محكمة دورية**

المجلد 45 . العدد 11

1445 هـ - 2023 م

**الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب**

**رئيس جامعة البعث**

**المدير المسؤول عن المجلة**

| | |
|---|---|
| **أ. د. محمود حديد** | **رئيس هيئة التحرير** |
| **أ. د. وليد حماده** | **رئيس التحرير** |

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

**م. هلا معروف**

| | |
|---|---|
| **د. محمد هلال** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. فهد شريباتي** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. معن سلامة** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. جمال العلي** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. عباد كاسوحة** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. محمود عامر** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. أحمد الحسن** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. سونيا عطية** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. ريم ديب** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. حسن مشرقي** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. هيثم حسن** | **عضو هيئة التحرير** |
| **د. نزار عبشي** | **عضو هيئة التحرير** |

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

**رئيس تحرير مجلة جامعة البعث**

**سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)**

**. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++**

**. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy**

**. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy**

**ISSN: 1022-467X**

# شروط النشر في مجلة جامعة البعث

**الأوراق المطلوبة:**

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي ( كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات ( الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي ( كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

**تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:**

**آ . إذا كان المرجع أجنبياً:**

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة ( – ) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة ( ثانية . ثالثة ) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

**ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:**

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد ( كتابة مختزلة ) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

**ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد**

**بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: ( المراجع In Arabic )**

# رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (40000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (100000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (6000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

# المحتوى


| اسم البحث | اسم الباحث | الصفحة |
|---|---|---|
| البغايا في العصر الإمبراطوري الرومانيِّ (27 ق.م- 200م) | د. محسن محمد | 66-11 |
| دراسة جيومورفولوجيَّة حقلية لمُقتطعَات تحت السَّطْح في حوض نهر الحصين | د. سعيد إبراهيم | 102-67 |
| صورة القبائل العربية في فلم لورنس العرب 1962 | عبد الهادي زهدي<br>د. محمد العلي | 136-103 |
| دور قانون الأحزاب في تنظيم العمل الحزبي في الجمهورية العربية السورية دراسة تحليلية لقانون الأحزاب الصادر بالمرسوم التشريعي رقم /100/ لعام (2011) | ماهر عابدين<br>د. عدنان مسلّم | 166-137 |

# البغايا في العصر الإمبراطوري الروماني
# (27 ق.م– 200م)

**الدكتور: محسن محمد**

**قسم: التاريخ - كليّة: الآداب - جامعة: البعث**

**ملخصُ البحث باللغة العربية**

يتناولُ هذا البحث بالدراسة طبيعة حياة البغايا ونشاطهنّ في الإمبراطوريّة الرومانيّة خلال الفترة الزمنيّة بين عامي 27 ق.م– 200م. كان البغايا حاضرات بقوّة في الإمبراطوريّة الرومانيّة، فتعدّدت المصطلحات التي استخدمها الرومان للإشارة إليهن، كما تعدّدت فئاتهن ومراتبهنّ، فكان هناك المحظيات اللواتي حققن ثراء كبيراً واختَرن زبائنهنّ من نُخبة المجتمع الروماني. وكان هناك مُومسات بيوت الدعارة اللواتي كُنّ بأغلبهنّ من العبيد فكُن بالتالي مغلوبات على أمرهن، وأخيراً كان هناك بائعات الهوى اللواتي كُنّ بأغلبهنّ من كبار السنّ وحصلن على أجور ضئيلة جداً.

والواقع، أنّ الأسباب التي أدّت إلى دخول بعض النساء في الإمبراطورية الرومانية في مهنة الدعارة كانت متعدّدة، حيث كان أغلب البغايا من النساء اللواتي يُعانين من الفقر وضعف المردود المادّي، كما كان بعضهنّ من طبقة العبيد؛ لذلك مارسن مهنة البغاء مُجبرات، أضف إلى أنّ عدم رغبة بعض الأُسر الرومانيّة بتربية أطفالهم من الإناث والقيام برميهن في الشوارع قد جعل من بيوت البغاء المكان الوحيد الذي يحتضنهن ويتكفل برعايتهن ليعملوا في المستقبل كبغايا. وكما تعددت فئات البغايا، كذلك تعدّدت الأجور التي تتقاضاها كل فئة منهنّ، فتراوحت الأسعار التي تتقاضها البغايا بين مئات القطع الذهبية والهدايا الفاخرة وصولاً إلى قطعة آس واحدة أو قطعتين.

وتواجد إلى جانب البغايا أشخاص كانوا يتولون إدارة بيوت الدعارة ويتكفلون بدفع الضريبة المفروضة على عمل البغايا، وهؤلاء هم القوادون الذين عَرفهم المجتمع الروماني وأشار إليهم الرومان بأسماء متعددة.

وعلى اعتبار أنّ تجارة البغاء كانت تجارة مُربحة؛ لذلك عملت الحكومة الرومانية على تنظيمها وعلى الحصول على قسم من الأرباح التي تُدرّها عبر فرض ضريبة محددة، تلك الضريبة مُثبتة في الشواهد الأدبيّة والأثريّة.

وبالرغم من الطلب الكبير على البغايا في المجتمع الروماني، إلا أنّ ذلك المجتمع تعامل معهنّ بازدراء ونظر إليهنّ القانون الروماني على أنهنّ نساء شريرات ناقصات الأهليّة، وجرّم الرومان كل امرأة أو رجل ينخرط في تجارة البغاء لدرجة أنهم مُنعوا من الزواج مع المواطنين الأحرار.

**كلمات مفتاحية:** البغايا، المُومسات، العاهرات، بيوت الدعارة، المحظيات، روما، القوادون، العبيد، الضريبة، النساء، المجتمع الروماني، الأدباء الرومان.

# Prostitutes in the Roman Empire (27 B. C- 200 A. D)

**The search summary in English**

This research studies the nature of the life of prostitutes and their activities in the Roman Empire during the time period between 27 BC - 200 AD. Prostitutes were strongly present in the Roman Empire, so the terms that the Romans used to refer to them multiplied, as did their categories and ranks. There were concubines who achieved great wealth and chose their clients from the elite of Roman society.

There were the brothel prostitutes who were mostly slaves and were therefore powerless, and finally there were the prostitutes who were mostly old and paid very little.

In fact, the reasons that led some women in the Roman Empire to enter the profession of prostitution were multiple, as most of the prostitutes were women who suffered from poverty and poor financial returns, and some of them were from the slave class; Therefore, they practiced the profession of prostitution forcibly, in addition to the unwillingness of some Roman families to raise their female children and to throw them in the streets, which made brothels the only place that embraced them and ensured their care so that they would work in the future as prostitutes.

Just as there were many categories of prostitutes, so were the wages charged by each category of them. The prices charged by prostitutes ranged from hundreds of pieces of gold and luxury gifts to one or two pieces of ace.

In addition to the prostitutes, there were people who ran brothels

and paid the tax imposed on the work of prostitutes. These were the pimps that Roman society knew, and the Romans referred to them by several names.

Considering that the prostitution trade was a profitable business; Therefore, the Roman government worked to organize it and to obtain a portion of the profits it generated by imposing a specific tax, that tax is proven in literary and archaeological evidence.

Despite the great demand for prostitutes in Roman society, that society dealt with them with contempt and Roman law viewed them as evil, incompetent women, and the Romans criminalized every woman or man involved in the trade of prostitution to the extent that they were prevented from marrying free citizens.

**Keywords**: prostitutes, prostitutes, prostitutes, brothels, courtesans, Rome, pimps, slaves, tax, women, Roman society, Roman writers.

**مُخطّط البحث**

مقدمة.

**أولاً:** التعريف بمصطلح البغايا.

**ثانياً:** دوافع البغاء في الإمبراطوريّة الرومانيّة.

1 – الرقّ أو العبوديّة.

2– الوضع المادي السيء أو الفقر.

3– التخلّي عن الأطفال.

**ثالثاً:** فئات البغايا.

1– المحظيات(amicae).

2– مومسات بيوت البغاء(meretrix).

3– بائعات الهوى (Lupa).

**رابعاً:** أجور البغايا.

**خامساً:** هيكليّة تجارة البغاء.

1– القوّادون.

2– بيوت البغاء.

**سادساً:** الضرائب على البغايا.

**سابعاً:** نظرةُ المجتمعِ الرومانيّ إلى البغاء والبغايا.

– خاتمة.

– قائمة المصادر والمراجع.

**مقدّمة:**

لا تكتمل الدراسة الحضاريّة للمجتمع الروماني من دون دراسة الجوانب المُظلمة والمهمشة فيه، ومن تلك الجوانب المظلمة كان البغايا اللواتي عانين من تهميش مجتمعي ومؤسساتي، حتى أنّ الإشارات إليهنّ في المصادر الأدبية الرومانية لم يكن المقصود منها إثبات وجودهنّ في المجتمع بقدر ما كان الربط بينهنّ وبين كل رذيلة وانحطاط في الأخلاق الرومانية. إلا أنّ هذا لا ينفي أنّ البغايا كُنّ شريحة مهمّة في المجتمع الروماني، وأهميتهم لا تأتي من أهمية أو قيمة المهنة التي يُمارسنها، فمهنة البغاء أو الدعارة مهنة مرفوضة أخلاقياً ومجتمعياً، وهذه النقطة لا جدال حولها، ولكن أهميتهم تأتي أولاً من انتشارهم بشكل كبير داخل المجتمع الروماني مما يدلّ على طلب كبير من الشعب الروماني على خدماتهنّ بالرغم من الرفض الظاهري لهنّ. وثانياً من تصنيف النخبة الرومانية للبغاء على أنه ضرورة مجتمعيّة تحمي السيدات المُحتشمات من خطر بعض الشبان الساعين لإقامة علاقات جنسية خارج نطاق الزواج.

والواقع، أنّ البغايا تعرضن لظلم كبير في العصر الروماني، فنظر إليهن على أنهنّ سلعة تجارية مباحة لكل من يرغب بهنّ، ولم يراعِ المجتمع الروماني الدوافع والأسباب التي أدّت إلى وقوع هؤلاء النساء في دوامة الدعارة. وعلى اعتبار أنّ أغلب الأدباء والمؤرخين الذين ذكروا البغايا، بصورة أو بأخرى، كانوا من الطبقة الرومانية النبيلة؛ لذلك فإنّهم عزّزوا من النظرة السوداوية تجاه البغايا في الوقت الذي تسامحوا فيه مع مهنة البغاء. وهذا الكيل بمكيالين مع تبيان الظلم الذي تعرض له البغايا في المجتمع الرومانيّ جميعها نقاط سيتمّ توضيحها في مكانها المناسب من هذا البحث.

شمل الإطار الزماني لهذا البحث الفترة الممتدة بين عام 27 ق.م(أي بداية العصر الإمبراطوريّ الرومانيّ) والعام 200م، وتمّ اختيار هذين العامين على اعتبار أنّ الكمّ الأكبر من المعلومات الأكاديمية تعود إلى هذه الفترة، أضف إلى أنّ هذه الفترة شهدت ازدهاراً كبيراً لتجارة البغاء بدليل أنّ الحكومة الرومانية شرَّعت تجارة البغاء خلال هذه الفترة، وأوجبت البغايا بدفع قسم لا بأس به من مدخولهنّ كضرائب إلى الخزينة

الرومانية. وبكل الأحوال، فإنّ دراسة البغايا خلال هذه الفترة يُعطي للباحثين معلومات تُجمل لهم كل ما يريدون معرفته بخصوص البغايا وتجارة البغاء ليس فقط خلال الفترة بين 27 ق.م و200م بل خلال العصر الإمبراطوري الرومانيّ (27 ق.م– 330م) بكامله.

أما الإطار المكانيّ لهذا البحث، فشمل الإمبراطوريّة الرومانيّة بحدودها المعروفة والممتدة من نهر الفرات شرقاً إلى بريطانية غرباً، ومن مصر جنوباً إلى بحر البلطيق شمالاً.

وقُسّم البحث إلى أفكار أساسية حاولت معالجة أهمّ جوانب حياة البغايا ومهنتهنّ من خلال ما قدّمته المصادر الأدبيّة والأثريّة من معلومات بهذا الخصوص.

وتجدر الإشارة هنا، إلى البحث سيستخدم مصطلحات متعددة للإشارة إلى البغايا، مثل المومسات، العاهرات، بائعات الهوى على اعتبار أنّ جميع هذه المصطلحات تُعطي الغاية ذاتها.

**إشكالية الدراسة:**

تكمن إشكاليّة هذا البحث الأساسية في توضيح طبيعة عمل ونشاط البغايا والخلفيّة الاجتماعيّة التي ينتسبون إليها وموقف المجتمع الروماني منهنّ. هذه الإشكالية تفرض على الباحث طرح جملة من التساؤلات الأكاديميّة ينبغي الإجابة إليها. تلك التساؤلات تتلخّص في: ما هو المقصود بمصطلح البغايا؟ وما هي الأسباب التي أدّت إلى عَمل بعض النساء الرومانيات في مهنة البغاء؟ وماهي أنواع البغايا؟ وهل كان البغايا على مستوى واحد من المكانة والحضور الاجتماعيّ؟ وماهي الأجور التي كانت تحصل عليها المُومس من زبائنها؟ ومن هم الأشخاص الذين أداروا عمل البغايا وتجارة البغاء؟ وما هو موقف الدولة الرومانية من عمل البغايا؟ وكيف نَظر المجتمع الروماني إلى مهنة البغاء والبغايا. وغيرها من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات أكاديمية وافية للوصول إلى بحثٍ علميٍّ متكاملٍ.

**أهمية الدراسة:**

يُحاول أغلبُ الباحثين تجاهل فئة البغايا لاعتبارات متعدّدة. تلك الاعتبارات لا تصبّ، مهما كانت، في خدمة علم التاريخ الذي حاول ولا يزال يحاول فرض نفسه كعِلم يعتمد، كغيره من العلوم، على الوثائق والأدلة، لا على العواطف، في دراسة جميع مواضيعه.

وعلى اعتبار أنّ معظم الدراسات العربيّة الحديثة تتجه نحو دراسة حضور النساء من النخبة الرومانية، وتُركّز على دراسة الجانب المُشرق من حياة المرأة الرومانية دون الالتفات إلى حقيقة وجود نساء مارسن وامتهنّ مهنة الدعارة؛ لذلك فانّ أهمية هذا البحث تكمن في أنه سيحاول الخروج عن المألوف في الدراسات الحضارية وذلك من خلال تقديم عرض أكاديمي شامل لجانب مهمش من المجتمع الروماني هو البغايا.

**هدف الدراسة:**

يهدف هذا البحث إلى التعريف بمهنة البغايا في الإمبراطورية الرومانية، وتوضيح حقيقة أنّ قسم كبير من هؤلاء البغايا كُنّ مغلوبات على أمرهنّ ومارسن هذه المهنة المرفوضة أخلاقياً ومجتمعياً مُجبرات لا راغبات. كما يهدف إلى تسليط الضوء على نظرة القانون والمجتمع الروماني إلى مهنة البغاء والنساء اللواتي مارسن هذه المهنة. أمّا الهدف الأسمى لهذا البحث فيتمحور حول تقديم دراسة أكاديمية جديدة تُغني المكتبة العربيّة التي تخلو من أيّة دراسة أكاديمية شاملة تعالج البغايا في العصر الرومانيّ. كما يهدف هذا البحث إلى تقديم مادّة علمية أوليَّة تساعد الباحثين في التاريخ الروماني على تضمين موضوع البغايا في رسالة أو أطروحة أكاديمية شاملة على اعتبار أنّ هذا الموضوع يستحقّ تضمينه في دراسة مُستفيضة تُوسِّع أفق البحث العلمي في التاريخ الروماني.

**منهج الدراسة:**

عَمد الباحث إلى اعتماد المنهجين التحليلي والوصفي في آنٍ واحد. واعتماد هذين المنهجين جاء بناءً على أنّ جميع المعلومات، التي بُني عليها هذا البحث، مُستمّدة من المصادر الأدبية والأثرية؛ لذلك كان لابدّ من عرض معلومات المصادر الأدبيّة وتحليلها بغية تقديمها بطريقة علميّة مُبسّطة بعيدة عن الركاكة التي تحتويها تلك المصادر أحياناً. كما توجّب دراسة وتحليل المصادر الآثرية التي أشارت إلى فئة البغايا بغية تقديم المعلومات التي احتوتها وجعلها في خدمة هذا البحث.

**مصادر الدراسة:**

لا يوجد مصدر أدبيّ مُحدد عالج موضوع البغايا، بل توزّعت المعلومات بخصوصهنّ في مختلف المصادر، ويُلاحظ أنّ أغلب المعلومات بخصوص البغايا جاءت في كُتب الشعراء والأدباء الرومان على اعتبار أنهم أوردوا إشارات كثيرة إلى البغايا في سياق نقدهم للانحطاط الأخلاقي في المجتمع الرومانيّ.

وأهمّ المصادر الأدبيّة التي عالجت موضوع البغايا كان الكاتب السوريّ لوقيان السميساطي (Lucian of Samosata) (125- 180م) الذي خصّص عملاً كاملاً من أعماله للمحظيات وهو العمل الموسوم بعنوان" حوار المحظيات ( Dialogues of the Courtesans)". والمحظيات كُنّ الفئة الأعلى مكانةً بين أقرانهنّ من البغايا.

المصدر الأدبيّ الثاني الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة هو الكاتب المسرحي الروماني بلاوتوس(Plautus) (254- 184 ق.م) الذي ضمّن في مختلف مسرحياته الكوميديّة[1] معلومات مهمة عن البغايا وبيوت الدعارة في روما.

[1] يتوفّر ترجمات عربية لبعض مسرحيات بلاوتوس. وبالرغم من أنّ هذه الترجمات لا تحتوي الأعمال التي أشار فيها بلاوتوس إلى البغايا، إلا أنّها تُقدِّم تعريف أكاديمي مهم لأهم أعمال بلاوتوس وأسلوبه الأدبي. انظر: بلاوتوس: كوميديات بلاوتوس (عن النصّ اللاتيني)، ترجمة: أمين سلامة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.؛ بلاوتوس: جرة الذهب، ترجمة وتقديم: عبد المعطي شعراوي، من المسرح العالمي، العدد (369)، كانون الثاني(يناير)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2014م.

أمّا المصدر الأدبي الثالث فهو الشاعر الروماني مارتيال (Martial) (40– 104م) الذي ضمّن في عمله الموسوم بـ " الأشعار (Epigrams)" معلومات مهمّة عن البغايا وحياتهنّ ونظرة المجتمع لهنّ.

بالإضافة إلى ذلك اعتمدت هذه الدراسة على المؤرخ الروماني سويتونيوس(Suetonius) (69– 140م) وعمله الموسوم بـ" سِيَر القياصرة ( Lives of the Caesars)". وتميز سويتونيوس، عن غيره من المصادر الرومانية، بأنه قدّم إشارة واضحة إلى الضريبة التي فرضتها الحكومة الرومانية على عمل البغايا.

كما تمّ الاعتماد على كتابات فقيه القانون الروماني أولبيانوس(Ulpianus) (170– 228م) الذي قدّم في معرض تعليقاته على قانون جوليا وبابيا بـ ( On the Lex Julia et Papia)[1] معلومات مُهمّة عن تعريف البغايا والقوَّادين والوضع القانونيّ لكل منهم.

أما النوع الثاني من المصادر الذي اعتمدت عليها هذه الدراسة، فهو المصادر الآثرية، إذْ قدّمت الدراسات الآثرية ولاسيما تلك التي تمَّت في مدينة بومبي الإيطالية كمّ

[1] قانون جوليا وبوبيا: أو قانون جوليوس وبابيوس، هو قانون أصدره الإمبراطور أوغسطس(Augustus) (27 ق.م- 14م) بهدف تنظيم الحياة الاجتماعية وإيقاف الفجور والتردي الأخلاقي في المجتمع الروماني؛ لذلك حارب ظاهرة العزوبية، وشجّع الزواج والعفّة، وحارب الزنا، وجعل منه قضية اجتماعية لا قضية شخصية.
والحقيقة، أنّ العلماء تعارفوا على إطلاق اسم" قانون جوليا وبابيا" على هذا القانون مع أنه لم يكن قانون واحد، بل كان قانونين منفصلين لم يصدرا في نفس العام، إذْ أصدر أوغسطس قانون جوليا أو جوليوس في العام 19/ 18 ق.م. أمّا قانون القنصلين ماركوس بابيوس (Marcus Papius) وكوينتوس بابايوس (Quintus Papaeus) فصدر في العام 8/ 9 م. ولكن فقهاء القانون الروماني اللاحقين يُشيرون إليه باسم واحد هو" قانون جوليا وبابيا". هذا الدمج بين القانونين جاء بسبب تمحور القانونين حول نفس الموضوع وهو الحياة الاجتماعية. انظر من المصادر:

Tacitus: Annals, III, 25.
Suetonius: Lives of the Caesars, Augustus, XXXIV.
Dio Cassius: Roman History, LIV, 16, 7.
ومن المراجع، انظر: أنديشة، أحمد محمد والقماطي، حميدة: الأسرة الرومانية زمن الإمبراطور أوغسطس 27ق.م- 14م، العدد الثاني، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراته، 2014م، ص190، 191.؛ ددلي، دونالدر: حضارة روما، ترجمة: فاروق فريد وجميل يواقيم الذهبي، مُراجعة: محمد صقر خفاجة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1979م، ص 207.

كبير من المعلومات عن عمل البغايا والأسعار التي تقاضوها وعن شكل وهيكلية بيوت الدعارة في العصر الروماني.

**الدراسات السابقة، وجديد هذه الدراسة:**

تزخر الدراسات الأكاديمية الأجنبية بمادة علمية متميزة عن حياة البغايا، ولعلّ أهم العلماء الذين كتبوا عن " البغايا في العصر الروماني" كان الأستاذ توماس ماكجين (Thomas A. J. McGinn) الذي كتب مُؤلَّفَين مُهمين، باللغة الإنكليزية، عن الدعارة واقتصاد الدعارة في العصر الروماني. أمّا باللغة الألمانية فيبقى كتاب (الدعارة في العصر الروماني) للأستاذة بيتينا إيفا ستومب (Bettina Eva Stumpp) هو المرجع العلمي الأفضل.

ولكن من خلال قراءة الدراسات الأكاديمية التي عالجت موضوع البغايا في العصر الروماني[1]، فإنّ المرء يُلاحظ أنها جاءت جميعها باللغات الأجنبية في حين تقف الدراسات العربية صامتة بخصوص موضوع مهم وغامض كهذا الموضوع؛ لذلك فإنّ هذا البحث سيُحاول تقديم دراسة أكاديميّة تُضيف جديداً إلى المكتبة العربية، مع التأكيد على أنّ الباحث لن يألوُ جهداً في تحليل المصادر التاريخية وتقديم ما يمكن تقديمه من استنتاجات بهذا الخصوص.

**أولاً: التعريف بمصطلح البغايا:**

وردَ في المعجم الوجيز، بخصوص البغايا، ما يلي: '' يُقال بغت المرأة بِغاءً أيّ فجرت وتكسّبت بفجورها، فهي بَغِي، والجمع بغايا''[2]. ومصطلحات البغايا، العاهرات، المومسات، بائعات الهوى، جميعها تُعطي الغاية نفسها في العصر الروماني،

[1] للوقوف على التوثيق الكامل للأعمال والدراسات الأكاديمية التي عالجت موضوع البغايا، انظر قائمة المراجع في نهاية هذا البحث.
[2] المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، 1989م، ص57.

وعُوملن في المجتمع على أنهنّ فئة واحدة مهما اختلف المُسمّيات[1].

عرّفت المصادر القانونية الرومانية العاهرة بأنها'' المرأة التي تَكسب رزقها من خلال بيع جسدها علانيةً '' ( quae palam corpore quaestum facit fecerit)''[2]. وبذلك يمكن القول، أنّ القانون الروماني فرّق بين المرأة التي تقوم بالزنا وبين المرأة التي تجعل من الدعارة مهنة لها، فقد حدّد المشرّع الروماني الطريقة التي تبيع بها العاهرة جسدها والهدف منه، فقال'' علانيةً''، وقال'' تكسب المال''.

إلّا أنه وفي الوقت نفسه، عاد وأكّد رجل القانون الروماني، أولبيانوس في معرض تعليقه على قانون جوليا وبابيا، الذي أصدره الإمبراطور أوغسطس بأنه حتى المرأة التي تُقدِّم جسدها للآخرين مجاناً يجب أنْ تُدرج ضمن" البغايا"، فأورد:'' يقول أوكتافيوس(يقصد أوغسطس)، بشكل واضح للغاية، أنه إذا كانت المرأة تُمارس الدعارة علناً دون أن تفعل ذلك من أجل المال، فيجب تصنيفها على أنها عاهرة''[3]. ويبدو أنّ هدف المشرّع الروماني هنا كان الجانب الأخلاقي، فلم يهتمّ سواء أخذت العاهرة أجراً أمْ لم تأخذ، المهمّ هنا أنه لا يمكن تصنيفها بين السيدات المُحتشمات. ولكنه استثنى في هذه الفقرة أيضاً العلاقات الجنسية التي تجري في الخفاء، فنَظر إليها على أنها زنى وليس بغاء منظّم.

وبالرغم من تعدّد المصطلحات التي استخدمها الرومان للإشارة إلى البغايا[4]، إلاّ أنّه وُجد أربعة مصطلحات كانت هي الأكثر شيوعاً. المصطلح الأول، هو مصطلح "

[1] Zanuy. Q: La interdicción lingüística en las denominaciones latinas para «prostituta», Revista de Estudios Latinos, Vol. 4. No. 1, 2013, p 120.

[2] Ulpianus: On the Lex Julia et Papia, In The Enactments of Justinian, The Digest or Pandects, XXIII, 2, 43.

[3] Ulpianus: On the Lex Julia et Papia, Book I, In The Enactments of Justinian, The Digest or Pandects, XXIII, 2, 43, 3.

[4] سرد الأستاذ أدامز(Adams) ما يقارب (50) مصطلح لاتيني تمّ استخدامها للإشارة إلى البغايا، ورأى أنّ غنى اللغة اللاتينية بهذه المصطلحات دليل قوي على انتشار الدعارة وحضورها في المجتمع. انظر:

لوبي ( Lupae)" ويعني" أنثى الذئب"[1]، وهو أقدم مصطلح روماني يُشير إلى البغايا، وكان يُطلق على أدنى فئات البغايا وأقلهنّ أجراً[2]. هذا المصطلح ذكره المؤرخان تيتوس ليفيوس(Titus Livius)(59 ق.م- 17م) وبلوتارخوس(Plutarch)(45- 125م)، عندما تحدّثا عن أسطورة تأسيس روما، فذكرا أنّ زوجة الراعي فاوستوللوس(Faustollos)، وتُدعى أكا- لارينتيا (Acca- Larentia) التي تولت رعاية الطفلين رومولوس(Romulus) وريموس(Remus) كانت معروفة بين الرعاة في القرية بأنها عاهرة. كما استخدم ليفيوس وبلوتارخوس مصطلح( Lupae) في الإشارة إلى الذئبة التي أرضعت الطفلين، وذكرا صراحةً أنّ اللاتينيين كانوا يُطلقون مصطلح لوبي(Lupae) على الذئب والعاهرة في آنٍ واحد [3]. ومن هذا المصطلح اللاتيني جاء مصطلح آخر وهو "لوبانار(lupanar)" ، ويعني الماخور أو بيت الدعارة، أو وكر الذئاب[4].

المصطلح الثاني هو: ميريتريكس(meretrix) الذي يعني " المرأة التي تكسب أو المرأة المدفوعة الأجر"[5]، وهو مُشتق من ميريري(merere) الذي يعني حرفياً " الذي يستحقّ"، في إشارة إلى أنّ البغايا يتلقين أجراً محدداً لقاء خدماتهن الجسدية. ويدلّ هذا المصطلح بوضوح على الجانب الاقتصادي من عمل البغايا، وأُطلق، في أغلب الأحيان، على البغايا اللواتي يعملن في بيوت الدعارة.

---

Adams. J. N: Words for Prostitute' in Latin, Rheinisches Museum fur Philologiea, No. 126, 1983, pp 321-
358.

[1] Berg . R, Neudecker. R: The Roman Courtesan, Archaeological reflections of a literary topos, Acta Instituti Romani Finlandiae, Roma, 2018, p 66.

[2] سيتم التطرّق إلى هذا النوع من البغايا اللواتي يُعرفن بعاهرات الشوارع أو بائعات الهوى في فقرة مستقلة من هذا البحث. انظر الصفحات (19، 20) من هذا البحث.

[3] بلوتارك: تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م، ص 71. ;

Livy: History of Rome, 1, 4, 7.

[4] Mcginn. T. A. J: The Economy of Prostitution in The Roman World, the university of Michigan press, 2004, pp 7- 8.

[5] Berg . R: Neudecker. R; op, cit, p 66.

المصطلح الثالث الذي لاقى رواجاً في العصر الروماني، هو سكورتوم(scortum)، وهو يُفيد معنى المصطلح السابق(ميريتريكس). وبالرغم من صعوبة تحديد أصل هذا المصطلح، إلا أنّه من خلال تتبع وروده في المصادر اللاتينية، فإنه يمكن الاستدلال أنّه كان يُستخدم عند الإشارة إلى الجمع، أي عندما نقول (بغايا أو عاهرات). أما عند الإشارة إلى المُفرد، فإنّ الرومان كانوا يستخدمون المصطلح الأول(ميريتريكس)[1].

أمّا بالنسبة للمصطلح الرابع فكان" أميكا(Amica)"، ويعني الصديقة أو الصاحبة، واستُخدم بكثرة للإشارة إلى المحظيات[2]، وهُنّ الفئة الأولى من البغايا وأرفعهنّ قيمةً ومكانةً في العصر الروماني[3].

ومن الضروري الإشارة هنا، إلى مصطلح(prostituere) اللاتينيّ على اعتبار أنّ مصطلح البغايا أو العاهرات(prostitutes) في اللغات الأوربيّة المُعاصرة اشتُقّ منه. وهو مُشتقّ من الفعل (prostare) أيّ الوقوف في الشارع، وهو يتطابق مع الفعل(prostituere) أيّ الوقوف في الأماكن العامّة[4]. في إشارة واضحة إلى أنّ البغايا هُنّ سلعة مُباحة لكل من يرغب بهنّ دون استثناء. وهذا هو المصطلح الذي استخدمه المؤرخ الروماني سويتونيوس عندما أشار إلى الضريبة التي فرضها الإمبراطور كاليغولا(Caligula)(37- 41م) على البغايا[5].

ومن خلال دراسة هذه المصطلحات، فإنّ المرء يُلاحظ أنها تختلف بحسب أجر العاهرة ومكانتها، ومكان عملها، كما أنها تُركّز على الجانب الاقتصادي من عمل

[1] Lundgren. A. K: The Pastime of Venus, An Archaeological Investegation of Male Sexuality and Prostitution in Pompeii, Master Thesis, Faculty of Humanities, University of Oslo, 2014, p2.

[2] Plautus: Miles Gloriosus, CV, CXIV, CXXII, CCLXVI.

[3] سيتم معالجة فئة المحظيات بالتفصيل في فقرة لاحقة من هذا البحث. انظر الصفحات (16- 18) من هذا البحث.

[4] Stumpp. B. E: Prostitution in der römischen Antike, Akademie Verlag, Berlin, 1998, p 22.

[5] Suetonius: Lives of the Caesars, Caligula, XL.

البغايا، وتتعامل مع العاهرة على أنها تعرض نفسها كسلعة رخيصة، دون الأخذ بعين الاعتبار الظروف العامة والأسباب التي كانت وراء عمل تلك المرأة بمهنة الدعارة. هذه الظروف التي سيتم التطرّق إليها في الفقرة التالية.

**ثانياً– دوافع البغاء في الإمبراطورية الرومانية:**

تُقدّم المصادر الأدبيّة معلومات مهمّة عن الأسباب التي أدّت إلى وقوع الفتيات في دوامة الدعارة. ومن خلال دراسة تلك المعلومات ومقاطعتها مع المعلومات التي كشفتها الأبحاث الآثرية يُمكن للباحث أنْ يرسم صورة أكاديمية متكاملة عن أبرز تلك الأسباب التي تتمحور حول ما يلي:

**1 – الرقّ أو العبودية:**

من المعروف أنّ روما شكّلت بيئة خصبة لتجارة العبيد، وتنوَّعت مصادر العبودية عبر تاريخ روما بين الأَسر و الاختطاف و الولادة لأب أو أم من طبقة العبيد[1]. وعلى اعتبار أنّ العبد لا يملك من أمره نفسه شيء؛ لذلك كان الطريق الأكثر ترجيحاً للفتيات اللواتي يتحولن إلى العبودية هو بيوت الدعارة حيث يتولّى القوّاد(leno) دمجهنّ في مهنة البغاء[2].

وتحفظ المصادر الأدبية والآثرية أدلة مهمة على انخراط كبير للتُجَّار في مهنة الدعارة، فيُشير عالِم اللاهوت كليمنت الإسكندري (Clement of Alexandria) (150– 211م) إلى أنّ التجار كانوا يُبحرون حاملين البغايا وكأنهم يحملون الزيت والنبيذ، وآخرون كانوا يُتاجرون بالبغايا كما يُتاجرون بالخبز. ويُهاجم كليمنت هؤلاء التجار الذين نسوا وتناسوا وصية النبي موسى عليه السلام حين قال'' لا تُدنّس ابنتك

[1] حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددان (117- 118)، كانون الثاني- حزيران، دمشق، 2012م، ص 60- 64.

[2] Fenton. E: Prostitution as Labor in Imperial Roma, Studies in Mediterranean Antiquity and Classics, vol. 1, Iss. 1 Art. 3, 2007, p9.

بتعريضها للزنى لئلا تزني الأرض وتمتلئ الأرض رذيلة''.[1] ومما لا شكّ فيه أنّ هؤلاء البغايا اللواتي حملهنّ التجار معهم كُنّ من العبيد الذين فقدوا حريتهم لسبب أو الآخر.

كما قدّم الخطيب والمؤرخ اليوناني ديو كريسوستوم (Dio Chrysostom) (40- 120م)، دليلاً هاماً على إجبار الأسرى والعبيد على العمل في الدعارة، والانخراط في هذا النوع القذر من الحياة، فيقول: '' في التعامل مع المسؤولين عن بيوت الدعارة وتجارتهم، يجب أن نمنعهم بشدة ونُصرّ على ألا يسعى أحد، سواء كان فقيراً أو غنياً، إلى مثل هذه الأعمال التجارية. هؤلاء الرجال يَجمعون الأفراد معاً من دون حب، ويُمارسون الجِماع بدون مودة، وكل ذلك من أجل الربح القذر.... يجب ألا يأخذوا النساء أو الأطفال المساكين، الذين تم أسرهم في الحرب أو الذين تم شراؤهم بالمال، وفضحهم، علانيةَ، لغايات مخزية في أكشاك قذرة في كل جزء من المدينة.... أنا أقول: يجب أنْ لا تُوضع النساء البرابرة، ولا النساء اليونانيات – الذين كانوا في الأزمنة السابقة أحراراً تقريباً، ولكنهم يعيشون الآن في عبودية مطلقة وكاملة – في مثل هذا القيد المُخزي، حيث يقومون بأعمال فاسدة وقذرة تفوق بقذارتها الأعمال التي يقوم بها مربو الخيول والحمير''[2].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ المصادر الآثرية أكّدت ما جاء في المصادر الأدبية بخصوص العلاقة بين الرقّ ومهنة الدعارة، إذْ عَثر علماء الآثار، في العام 1906م، في موقع بولا ريجيا(Bulla Regia) الأثري شمال غربي تونس، على هيكل عظمي لفتاة تبلغ من العمر حوالي (40) عام، تبيَّن أنَّها عاهرة تنتمي إلى طبقة العبيد، إذْ وُجد حول رقبتها طوق من الرصاص كُتب عليه:

Adultera meretrix. Tene quia fugivi de Bulla R(e)g(ia)

[1] Clement of Alexandria: The Paedagogus, III, 3.
وعن وصية النبي موسى عليه السلام التي أوردها كليمنت الإسكندري، انظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر اللاويين، الإصحاح (9)، الآية (29).

[2] Dio Chrysostom: Discourses, The Euboean Discourse, 133.

'' أنا عاهرة زانية، أمسك بي! لأنني هربت من بولا ريجيا''[1].

ومن خلال دراسة هذا الدليل الأثري، فإنّه يمكن للباحث الوقوف على ثلاثة استنتاجات مهمّة، الاستنتاج الأول هو: أنّ هذه الفتاة الأربعينية المسكينة كانت مُجبرة على ممارسة الدعارة بحُكم انتماءها إلى طبقة العبيد. الاستنتاج الثاني، هو أن هذه الفتاة حاولت الهروب سابقاً، وتمّ الإمساك بها بدليل الكتابة التي جرى حفرها على الطوق الذي كانت تلبسه عندما تمّ دفنها وهو ما يدلّ على حجم الاضطهاد التي كانت تتعرض له وإلا لما جازفت وحاولت الهروب عدّة مرّات. أما الاستنتاج الثالث فهو أنّ الفتاة كانت تعمل في بيت دعارة بدليل أنّ المصطلح الذي استخدم للإشارة إليها كان مصطلح ميريتريكس(meretrix) الذي أُشير إليه سابقاً على أنه كان يستخدم، في الغالب، للإشارة إلى البغايا العاملات في بيوت الدعارة.

وتُقدّم مدينة بومبي، هي الأخرى، دليلاً أثرياً مهماً على نشاط الفتيات من طبقة العبيد في مهنة البغاء، إذْ عُثر على نُصب تذكاري أقامته مالكة بيت دعارة تُدعى" فيبيا كريستا(Vibia Chresta )"، وكُتب على النقش ما يلي:

'' أقامت فيبيا كريستا (Vibia Chresta)، المُحرَّرة من لوكيوس (Lucius)، هذا النُصُب التذكاريّ تكريماً لها وتكريماً لذكرى جايوس روستيوس ثالاسوس ( Gaius Rustius Thalassus)، مُحرِّر جايوس، ابنها، وتكريماً لفيبيا كاليبي (Vibia Calybe)، مُحرّرته، ومديرة بيت الدعارة الخاص بها. أقامت كريستا هذا النصب من دخلها الخاص دون الاحتيال على أي شخص''[2].

[1] Merlin. A : Le temple d'Apollon à Bulla Regia. Paris, 1908, p 10.; Trimble. J: The Zoninus Collar and the Archaeology of Roman Slavery, American Journal of Archaeology, Vol. 120, No. 3, July, 2016, p 455.

[2] Corpus Inscriptionum Latinarum, 92029. ; Izquierdo. A. L : La Prostitución En Roma En El Siglo I D.C, Trabajo De Fin De Grado, Supervisor: José Luis Cañizar Palacios, Facultad De Filosofía Y Letras, Universidad De Cádiz, 2021, p 36.

والواقع، أنّ هذا النقش يُقدم معلومات مهمة عن وضع البغايا، إذْ يبدو من خلاله أنّ من أقامته كانت عاهرة سابقة من طبقة العبيد، لكنها كسبت من المال ما مكنها من فتح بيت دعارة خاصّ وإقامة هذا النقش. وعلى الأرجح أنّ الأخيرة كانت عاهرة تعمل في بيت دعارة يملكه سيدها السابق ويُدعى لوكيوس.

كما يُشير هذا النقش إلى نقطة مهمة أخرى وهي نظرة الناس لفئة البغايا، إذْ أرادت صاحبة النقش أنْ توصل فكرة للناس أن المال الذي أقامت به النقش كان من جهدها الشخصيّ ولم يكن نتيجة لأيَّة طريقة غير شرعية؛ لذلك كتبت عبارة '' من دخلها الخاص دون الاحتيال على أي شخص''. كما يُبدو أنّ بعض البغايا كُنّ يلجئن إلى الاحتيال على زبائنهنّ للحصول على المال؛ لذلك حاولت صاحبة النقش تبرئة ساحتها وإقناع الناس أنها ليست من صنف البغايا اللواتي يحتلن على الغير.

**2- الوضع المادي السيء أو الفقر:**

لمْ يكن جميع الفتيات اللواتي عملن في مهنة الدعارة من طبقة العبيد، بل خرج قسم لا بأس منهنّ من طبقة العامّة التي كانت تُعاني، في كثير من الأحيان، من ظروف قاهرة كالفقر والأوضاع المادية السيئة، الأمر الذي أجبرهنّ على الانخراط في مهنة الدعارة[1].

والحقيقة، أنّه في مجتمع ذكوري كالمجتمع الروماني كان من الطبيعي أنْ تعاني المرأة من ضعف كبير تَرافق مع محدودية مجالات العمل المتاحة لها، وبالتالي وَجد قسم

[1] نافتالي، لويس: الحياة في مصر في العصر الروماني (30 ق.م- 284م)، ترجمة وتعليق: آمال الروبي، مراجعة: محمد حمدي إبراهيم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 1997م، ص 162.

من الفتيات الرومانيات أنّ بيئة الدعارة تُحقّق لهنّ مدخولاً يفوق المدخول الذي يمكن أنْ يُحققوه من مهن أخرى كغزل النسيج[1] أو العمل كمربية أطفال مثلاً[2].

وتُقدم الشواهد الآثرية دليلاً مهماً على دور الأوضاع المادية السيئة في دفع بعض النساء الرومانيات للعمل في مهنة الدعارة، إذْ عُثر في مصر على قطعة بردي تذكر مثول أحّد أعضاء مجلس مدينة الإسكندرية (عاصمة ولاية مصر الرومانية)، ويُدعى ديوديموس(Diodemos) ، للمحاكمة بتهمة قتله لإحدى بائعات الهوى والتي كثيراً ما كان يتردد عليها. وقبل أنْ تُعلن المحكمة حكمها بإدانته أو إطلاق سراحه، قامت ثيودورا (Theodora) المرأة الضعيفة ووالدة المُومس، وطالبت ديوديموس بأنْ يُحدد لها مصدراً تتعيش منه ليكون بمثابة تعزية بسيطة عن فقدها لابنتها التي كانت مصدر رزقها الوحيد، حيث قالت: '' لأجل هذا السبب وافقت على إعطاء ابنتي للمسؤول عن بيت الدعارة(الماخور)، لكي يكون لدي مصدر للرزق أتعيَّش منه. والآن وقد فقدت مصدر إعاشتي بعد وفاة ابنتي؛ لذلك فإنني أُطالب بأنْ يُخصص لي، وأنا المرأة الفقيرة، مصدر بسيط أتعيش منه''[3].

والحقيقة أنّ الكلام الذي قاله القاضي خلال محاكمة ديوديموس لا يقلّ أهمية بالنسبة لهذا البحث عمّا قالته الأم المسكينة، فقد أكّد القاضي على أنّ الفقر هو الذي دفع العاهرة المقتولة للعمل في مهنة الدعارة، فقال:

'' ديوديموس، لقد قتلت امرأة شوَّهت حياتها وحطّت من قدرها بين الرجال .... وأنا أُشفق على المرأة التعيسة، لأنها عندما كانت على قيد الحياة قُدّمت لكل من رغب بها وكأنها جثة. بسبب فقرها الذي ضغط عليها بشدّة، باعَت جسدها إلى مرتبة قذرة، وشوّهت سمعتها عندما تحولت لعاهرة.... لقد أُمرت، كتطهير لنظام المدينة ومجلسها،

[1] Lucian: Dialogues of the Courtesans, VI.

[2] Knapp. R: invisible romans, Prostitutes, outlaws, slaves, gladiators, ordinary men and women.... the Romans that history forgot, Profile Books Ltd, London, 2011, p 208.; Stumpp. B. E : op, cit, p 39.

[3] نافتالي، لويس: الحياة في مصر في العصر الروماني، ص 162.

بأنْ تُضرب بالسيف كقاتل.... أما ثيودورا ، الأم الفقيرة والمسنة للمرأة الميتة، والتي حرمت ابنتها من الحياء(الشرف) بسبب فقرها المدقع ، والتي قتلتها أيضاً بقتلها لابنتها، فإنها سترث عُشر( $\frac{1}{10}$ ) ممتلكات ديوديموس، القوانين تخولني فعل هذا. والشهامة تَدعم قوة القوانين''[1].

وعلى الرغم من أنّ هذه الحادثة تعود إلى القرن الرابع الميلادي، إلا أنها تعطي صورة عن دور عامل الفقر في دفع بعض النسوة للعمل في مهنة الدعارة، إذْ تشير والدة بائعة المقتولة إلى أنها أعطت ابنتها لبيت الدعارة، بغرض توفير مصدر رزق يعملون منه؛ لذلك فإنها لم تشعر بفقدان ابنتها بقدر ما شعرت بفقدان مصدر دخلها الوحيد. كما تثبت هذه الحادثة أنه لم يكن جميع النساء اللواتي عملن في بيت الدعارة كُنّ من طبقة العبيد، بل كان قسم منهنّ من الأحرار.

أضف إلى ذلك، فإنّ هذه الحادثة تُشير إلى نقطة مهمة أخرى، وهي الاضطهاد والصعوبات التي تعترض طريق البغايا، ذلك أنّ العاهرة التي قتلها ديوديموس كانت تعمل في بيت دعارة؛ لذلك من المفترض أنها كانت تتمتع ببعض الحماية، ومع ذلك قام ديوديموس بقتلها. فإذا كان مصير هذه العاهرة القتل، فإنّ للقارئ الحقّ في تخيّل حجم الاضطهاد المعنوي والجسدي الذي عانى منهم البغايا اللواتي كُنّ يعملن في الشوارع وليس لديهن من يحميهن.

وتُقدّم الشواهد الأدبية دليلاً أخراً على دور الفقر في انخراط بعض الفتيات من مهنة الدعارة، فيُشير الكاتب السوري لوقيان السميساطي إلى أمّ اضطرت إلى دفع ابنتها للدعارة لأنه لمْ يعد لديهم من يُعيلهم بعد موت زوجها، فيقول على لسان أُمّ إحدى المومسات وتُدعى كورينا (Corinna):

'' اسمعي: أريد أن أُعلِّمك كيف يجب أن تتعاملي مع الرجال. افتحي قلبك لكلامي يا ابنتي. لم يعد لدينا وسيلة لنكسب لقمة العيش سوى خدماتك التي تقدميها للرجال (تقصد

[1] Bagnall. R. S: Egypt in Late Antiquity, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1993, pp 197, 198.

عملها في الدعارة). لا يمكنك أنْ تتخيلي الصعوبة التي واجهناها حتى تأقلمنا منذ وفاة والدك المبارك. لم يكن ينقصنا شيء عندما كان على قيد الحياة. كان يتمتع بسمعة طيبة كحَدَّاد. يقول الناس لن يكون هناك حَدَّاد مثل فيليبينوس(Philipinos). بعد وفاته قُمت ببيع كمّاشته وسندانه ومطرقته مقابل مائتي درهم. عِشنا على ذلك لبعض الوقت. لقد وجدت عملاً في نسج الخيوط وخياطتها، وبالكاد أجني ما يكفي لشراء الخبز. رغم ذلك، لقد قمت بتربيتك يا ابنتي الصغيرة الغالية. أنت الأمل الوحيد الذي بقي لدي''[1].

والواقع، أنّ ما أورده لوقيان يُظهر الوضع المادي الصعب الذي أجبر الأم، وتدعى كروبيل(Crobyle)، على بيع أدوات العمل الخاصة بزوجها بعد موته. وبالرغم من عثور كروبيل على عمل، إلّا أنّ مدخولها لم يكن يكفي لتأمين لقمة عيشهم، الأمر الذي دفعها إلى إقناع ابنتها بالعمل كمومس.

مصدر أدبي أخر يُظهر دور عامل الفقر في دفع بعض الفتيات لبيع أجسادهنّ، هذا المصدر هو العرّاف اليوناني أرتيميدروس (Artemidorus) (القرن الثاني الميلادي) الذي يروي حالة غريبة يقوم فيها رجل روماني بدفع زوجته للعمل في مهنة الدعارة ليجني من وراءها لقمة العيش. هذه الحالة الغريبة يعرضها، فيقول:

'' رجلٌ يحلم أنه أحضر زوجته أمام مذبح ليذبحها ويبيع اللحم المُقطّع منها ويُحقق ربحاً كبيراً. كما حلم أنه سعيد بما فعله..... قاد هذا الرجل زوجته إلى حياة مُخزية كعاهرة، لكسب قوت يومه من عملها. لقد جَلبت له فوائد كبيرة ، لكن مصلحته كانت تقتضي إبقاء الأمر سرّاً ''[2].

**3- التخلّي عن الأطفال:**

لمْ يَنظر المجتمع اليوناني- الروماني بعين المساواة إلى جميع الأطفال المولودين حديثاً، بل وَضع ذلك المجتمع جُملة من الشروط التي تُحدّد فيما إذا كان

[1] Lucian: Dialogues of the Courtesans, VI.
[2] Artemidorus: The interpretation of dreams, V, 2.

المولود الجديد يستحقّ عناء تربيته أمْ لا[1]؛ لذلك فقد رفض الأباء الرومان، في حالات كثيرة، تربية أطفالهم وتركوهم ليواجهوا مصيرهم[2]. وعلى اعتبار أنّ الإناث كُنّ الحلقة الأضعف؛ لذلك فقد لجأت الكثير من العائلات الفقيرة في المجتمع الروماني إلى التخلّص من الرضيع في حال كان أنثى[3]. ويُشير الشاعر الروماني أوفيد إلى أنّ رجلاً رومانياً أخبر زوجته الحامل بأنه كان يُصلي للآلهة لكي تُخفف عنها آلالام الولادة وأنْ يُرزقوا بمولود ذَكر على اعتبار أنّ أوضاعهم الماديّة لا تسمح لهم بتربية المولود في حال كان أنثى[4].

وتحفظ المصادر الآثرية دليلاً هاماً على رفض بعض الأباء تربية الإناث، إذْ عَثر علماء الآثار في أوكسيرينخوس (Oxyrhynchus)(البهسنا– بالمنيا) في مصر على بُردية تحتوي رسالة كتبها رجل لزوجته الحامل يُوصيها فيها أن تُربّي الطفل، إذا كان صبياً، ولكن إذا كان فتى، فعليها التخلّي عنها[5]. وعلى الأرجح أنّ هذه المولودة، التي جاء ذكرها في قطعة البردي، كان مصيرها العمل في دور البغاء، بسبب معرفتنا المُسبقة أنّه لا بيت يأويها ويتولى إطعامها إلا بيوت الدعارة، مع الأسف.

هذا المصير الذي يمكن أنْ تقع فيه الطفلة التي يتخلى أهلها عنها جرى تأكيده في المصادر الأدبية، إذْ تحفظ تلك المصادر معلومات مهمّة عن تحوّل الإناث اللقيطات

---

[1] محمد، محسن يوسف: رعاية الأطفال الرضع في العصر الروماني (27 ق.م- 200م)، مجلة جامعة العبث، المجلد (44)، العدد (8)، 2022م، ص17، 18.

[2] أرسطوطاليس: السياسة، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهلير، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيّد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1947م، ص284.؛ فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم (من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب)، أطروحة دكتوراه، بإشراف: محمد رشدي جرايه، جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي، الجزائر، 2020/ 2021م، ص 83- 186.؛

Gowland. R, and others: On the Brink of Being: Re-evaluating Infanticide and Infant Burial in Roman Britain, Journal of Roman archaeology supplementary series, No. 96, pp 69- 88.

[3] الروبي، آمال محمد: مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني اجتماعياً واقتصادياً وإدارياً، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ص35.

[4] أوفيد: مسخ الكائنات، نقله إلى العربية وقدّم له: ثروت عكاشة، راجعه عن الأصل اللاتيني: مجدي وهبي، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص209.

[5] Stumpp. B. E: op, cit, p31.

إلى بغايا، فيذكر الكاتب المسرحي تيرينيس (Terence) (195- 159 ق.م) في إحدى مسرحياته أنّ إحدى الأمهات الرومانيات وتُدعى سوستراتا (Sostrata) أمرها زوجها بالتخلّي عن طفلتها، لكن الأمّ قامت، سرّاً، بإعطاء الطفلة لمُرضعة لتتولى تربيتها. وما أنْ عَلِم الزوج بذلك حتى قام بتوبيخها، وأوضح لها أنّ الطفلة يُمكن أنْ تتحول إلى عاهرة في المستقبل. ولكنّ الأم، التي اعترفت بما قامت به، أوضحت لزوجها أنّ المرأة التي أعطتها الطفلة، لم تكن امرأة فاسدة أخلاقياً، بل كانت سيدة ذات سمعة طيبة وأخلاق حَسنة[1].

والحقيقة، أنّ خوف الرجل وهواجسه التي ذكرها الكاتب تيرينيس كانت مُبررة، إذْ عمد المسؤولون عن بيوت الدعارة إلى استغلال قضية هجر الأطفال في المجتمع الروماني، فكانوا يقومون بتربية الإناث الذين لا معيل لهم، وتنشئتهم في بيوت الدعارة كبغايا.

**ثالثاً: فئات البغايا:**

لم تَعرف الإمبراطورية الرومانية نوعاً واحداً من البغايا، بل على العكس تماماً، إذْ وُجد في المجتمع الروماني أنواع شتى من النساء اللواتي اتخذن من البغاء مهنة لهنّ. والحقيقة، أنّ هذا التقسيم بين البغايا كان بناءً على الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها، وعلى الأساليب التي كانوا يتبعونها في استدراج زبائنهنّ[2]، وعلى نوعية ومكانة الأشخاص الذين يُقدِّمون لهم خدماتهن وعلى الأجور التي يتقاضونها، وعلى الأماكن التي يمارسون فيها مهنة البغاء وعلى استقلاليتهن[3].

بناءً على ذلك، يُمكن القول أنّه وُجد في المجتمع الروماني ثلاث فئات من البغايا هي:

[1] Terence: Heauton Timorumenos, DCXXV.
[2] Adams. J. N : op, cit, p321.
[3] López. R: "El Oficio Más Antiguo Del Mundo". Prostitución Y Explotación Sexual En La Antigua Roma, Revista de Estudios de las Mujeres, Vol. 4, 2016, p 161.

**1- المحظيات(amicae):**

تأتي المحظية على رأس قائمة البغايا في العصر الروماني، إذْ كانت تُعتبر عاهرة من الدرجة الأولى، فزبائنها من نُخبة المجتمع الروماني، وتتقاضى أعلى أجر بين أقرانها من البغايا[1]. وكان عدد البغايا المنتميات إلى هذه الفئة قليلاً نوعاً ما، إذْ لم يكن بإمكان جميع البغايا الوصول إلى مرتبة المحظية، بل كان لابدّ من توفّر شروط تُؤهِّلها لهذه الصفة، مثل الجمال والأناقة والرُقيّ[2].

كانت المحظية تبحث عن زبائنها بنفسها، وتعمل بشكل مستقلّ، أي من دون شريك يُساعدها(قوّاد)، وخارج بيوت البغاء. أما بالنسبة لزبائنها، فكانت تَحرص على اختيارهم من بين كبار الشخصيات في روما، كالنبلاء وقادة الجيش، وكبار التجار بغرض تحقيق أعلى مستوى من المعيشة[3]، كما أنها كانت تحاول انتقاء زبائنها من شريحة كبار السنّ بهدف تحصيل أكبر فائدة مادية منهم[4].

وتُثبت المصادر الأدبيّة الرومانية وجود المحظيات في المجتمع الروماني وعلاقاتهم المشبوهة مع كبار الشخصيات في الإمبراطورية الرومانية، فقد أفرد الكاتب لوقيان السميساطي عملاً كاملاً تخيّل فيه حواراً بين المحظيات اللواتي يتقاضين أجراً كبيراً من زبائنهنّ[5]. كما كتب المؤرخ الروماني سويتونيوس كتاباً عن" سيرة أو حياة المحظيات الشهيرات"[6]. وبالرغم من أنّ هذا الكتاب، فُقد، مع الأسف، إلا أنّ قيام سويتونيوس بتخصيص كتاب كامل عن هذه الفئة من البغايا يُعتبر دليلاً على مدى انتشارهنّ وحضورهنّ في أوساط الطبقة الرومانية النبيلة، خاصّة أنّ الكتاب الثاني لسويتونيوس كان عن سيرة القياصرة الرومان. أي كَتَبَ المؤرخ الروماني عن الأباطرة

[1] Izquierdo. A. L: op, cit, pp 32, 33.
[2] González. H, Pastor. S: Prostitución y matrimonio en Roma? Uniones de hecho o de derecho?", Iberia, No. 8, 2005, p101.
[3] López. R: op, cit, p161.
[4] Izquierdo. A. L: op, cit, p33.
[5] Lucian: Dialogues of the Courtesans.
[6] Knapp. R: op, cit, p 204.

وعن المحظيات في آنٍ واحد. كما يُشير سويتونيوس إلى أنّ الشاعر الروماني هوراس(Horace)(65- 8 ق.م) كان شهوانياً بقوة وتواجد في منزله المومسات على الدوام[1]. ومن المعروف أنّ هوراس كان من كبار شعراء العصر الروماني ومن المقربين للإمبراطور أوغسطس وحاشيته[2]؛ لذلك فإنّ هؤلاء العاهرات اللواتي ذكرهن سويتونيوس كُنّ من فئة المحظيات ولاشكّ. كما أشار سويتونيوس في معرض سرده لحياة الإمبراطور نيرون(Neron) (54- 68م)، أن هذا الأخير كان يُحب أنْ يتناول عشاءه بين المُومسات[3].

والحقيقة، أنّ علاقة المحظية في روما مع زبائنها كانت علاقة وطيدة، وكانت تلجأ، في بعض الأحيان، إلى التعاقد معهم على تقديم خدماتها لهم لساعات أو لأيام أو لشهور، وأحياناً بصفة دائمة؛ لذلك كثيراً ما أُطلق على المحظية مصطلح (amicae) اللاتيني الذي يعني" الصديقة أو الصاحبة أو رفيقة الفراش"[4].

وعلى اعتبار أنّ علاقة المحظية مع زبائنها يقوم، بالدرجة الأولى، على مقدار المال الذي يملكونه؛ لذلك كانت تلجأ إلى التخلّي عنهم بمجرد إفلاسهم، أو عدم قدرتهم على تقديم ما تطلبه من أموال، لتبدأ بالبحث عن أشخاص جُدد يحققون لها مستوى الرفاهية التي تطمح له[5].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المكانة الكبيرة التي نالتها المحظية، مكّنتها من الانخراط بقوّة في الحياة الاجتماعية للطبقة الراقية، فكانت تحضر المآدب الفاخرة، والحفلات، والمهرجانات، لا بلْ كان بإمكانها التدخّل في النقاشات التي كانت تجري بين الرومان من أصحاب المراتب الرفيعة. وهذه المكانة والميزات التي حصلت عليها

[1] Suetonius: The Life of Horace.

[2] عن حياة هوراس، ومكانته في روما، انظر: هوراس: فنّ الشعر، ترجمة: لويس عوض، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م، ص 6- 21.

[3] Suetonius: Lives of the Caesars, Neron, XXVII, 2.

[4] Adams. J. N: op, cit, p384.

[5] Stumpp. B. E: op, cit, p 53.

المحظية كانت ممنوعة على حتى على السيدات الرومانيات أنفسهنّ، بالإضافة إلى أنها كانت ممنوعة على الفئات الأخرى من البغايا[1].

**2- مومسات بيوت البغاء(meretrix):**

من الصعب إيجاد مصطلح مُحدَّد لتسمية هذه الفئة من البغايا، فهنّ في درجة متوسطة بين المحظيات وبين بائعات الهوى في الشوارع؛ لذلك عَمَدَ الباحثُ إلى تسمية هذه الفئة بـ" مومسات بيوت البغاء"، انطلاقاً من حقيقة أنّ هذا النوع من البغايا لم يكونوا يعملون بشكل مستقلّ كما هو الحال مع المحظيات، بل كُنّ يعملن لصالح بيوت مخصصة للدعارة أو ما يُعرف باسم ماخور، وتحت إشراف المسؤول عن بيت الدعارة أو القوّاد[2].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ معظم بغايا هذه الفئة كُنّ من طبقة العبيد[3]، كما كُنّ الأكثر انتشاراً في المجتمع الروماني لسببين: السبب الأول، هو الأجر الرخيص الذي كانوا يتلقونه من زبائنهنّ؛ لذلك لجأت شريحة واسعة من الرومان إلى بيوت الدعارة التي كانت تحتضن بغايا هذه الفئة. أمّا السبب الثاني، فهو الانتشار الكبير لبغايا هذه الفئة، إذْ لم يكن المواطن الروماني بحاجة للبحث عنهنّ كثيراً فهُنّ منتشرات بشكل واسع[4].

وتُشير المصادر الأدبية الرومانية إلى هذا النوع من البغايا، فيُقدّم الشاعر بلاوتوس وصفاً لمشهد يصطفّ فيه البغايا والقوادون في بعض أسواق روما، فيقول الشاعر الروماني: '' في الوقت الحاليّ يصطفّ القوّادون والبغايا كل يوم.... لديَّ قناعةٌ بأنّ عدد البغايا هناك أكبر من عدد موازين العملات المعدنية ''[5]. كما أشار الخطيب

[1] Izquierdo. A. L: op, cit, p33.
[2] Knapp. R: op, cit, p 208. ; Fenton. E: op, cit, pp 1- 4.
[3] Strong. A: Prostitutes and Matrons in the Roman World. Cambridge: Cambridge University Press, 2016, p 60.
[4] Izquierdo. A. L: op, cit, p 35.
[5] Plautus: Truculentus, LXIV- LXVIII.

اليوناني ديو كريسوستوم إلى العبيد العاملين في بيوت الدعارة، وإجبارهم على القيام بأعمال الدعارة القبيحة[1].

والحقيقة، أنّ المصادر الآثرية أكّدت وجود هذا النوع البغايا، وجرت الإشارة في فقرة سابقة[2] إلى الطوق الرصاصي الذي عُثر عليه في موقع بولا ريجيا الأثري، ذلك الطوق الذي ذكر العاهرة التي كانت ترتديه بأنها(meretrix) [3] أي من بغايا بيوت الدعارة موضع البحث في هذه الفقرة.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّ الانتشار الواسع لهذا النوع من البغايا هو الذي حدا بالحكومة الرومانية لسنّ قوانين ضريبية تُحدد مقدار الضرائب الواجب على بيوت الدعارة دفعها للخزينة الرومانية. وهذا دليل آخر على انتشار هذا النوع من البغايا، ذلك أنّ انتشارهم وارتفاع مدخولهم هو الذي فتح شهية الحكومة الرومانية لأخذ نصيبها من الأموال التي يجنوها، وسيتمّ التطرّق إلى الضرائب التي فرضتها الحكومة الرومانية على البغايا في فقرة مستقلة من هذا البحث[4].

**3- بائعات الهوى (Lupae):**

تأتي هذه الفئة في نهاية ترتيب البغايا، إذْ اعتبرهم الرومان أكثر البغايا انحطاطاً، لذلك أطلقوا عليهنّ مُصطلح(Publicae) أي " عام" ، في إشارة إلى أنهنّ لم يكونوا ملكاً لأحّد، بل مُباحات لكل من يرغب بهنّ[5]. وعُثر في مدينة بومبي على نقش يُقدّم هذه الفكرة نفسها ، فيقول كاتب النقش: '' الفتاة التي أكتب إليها وتقبل رسالتي على الفور هي فتاتي بشكل صحيح، ولكن إذا أردت بثمن، فهي ليست فتاتي، ولكنها للجميع''[6].

[1] Dio Chrysostom: Discourses, The Euboean Discourse, 133.

[2] راجع الصفحة (11) من هذا البحث.

[3] Merlin. A: op, cit, p 10.; Trimble. J: op, cit, p 455.

[4] انظر الصفحات (28- 31) من هذا البحث.

[5] Stumpp. B. E: op, cit, p22.

[6] Corpus Inscriptionum Latinarum, 41860.

وتُشير المصادر الأدبية إلى تميّز بائعات الهوى عن غيرهنّ من البغايا، لذلك وصفهنّ الشاعر الروماني بلاوتوس بـ" العاهرات القذرات"[1]. كما عبّر المجتمع الروماني عن مستوى هذا النوع من البغايا، فأطلق عليهن مصطلح" لوبي( Lupae)" أيّ عاهرة رخيصة[2].

والواقع، أنّه ثمّة صفات وخصائص في هذا النوع من البغايا هو الذي دفع الباحث إلى وضعهنّ في فئة مستقلّة، وفي نهاية تصنيف البغايا. أُولى هذه الخصائص أنهنّ كُنّ مستقلّات، أيّ يعملن بشكل منفرد خارج بيوت البغاء[3]، وفي هذه النقطة يتشابهن مع المحظيات. ولكنّ الخلاف بينهن وبين المحظيات هو أنّ زبائنهنّ من أدنى فئات المجتمع الروماني. أيّ لا مشكلة لديهنّ بإقامة علاقة جنسية مع أي شخص بغض النظر عن طبقته الاجتماعية، بعكس المحظيات اللواتي كُن يخترن زبائنهنّ من الطبقة الراقية في المجتمع الرومانيّ.

الخاصية الثانية التي تفرد بها هذا النوع من البغايا هي انخفاض أجورهنّ مقارنةً مع المحظيات ومع عاهرات بيوت البغاء[4].

الخاصية الثالثة هي أنّ هذه الفئة جعلت من البغاء مهنة دائمة لها، أي كانت تُمارس البغاء بشكل طوعي، ومن دون أنْ يساورها أي ندم بهذا الخصوص.

الخاصية الرابعة هي أنّ معظم، إنْ لم يكن جميع، بغايا هذه الفئة لم يكنّ يحملن صفات الجمال أو النضارة، بل كُنّ من النساء القبيحات والمُسنّات اللواتي لم يعدْ يرغب بهنّ سوى المتسوِّلون والعبيد[5].

أمّا عن الأماكن التي كانت تمارس فيها هذه الفئة البغاء، فإنها لم تكن محددة، حيث مارسن مهنتهنّ في أي مكان، سواء في الشوارع داخل المدن، أو على الطرق خارج

1 Plautus : Epidicus, CDIII.
2 Stumpp. B. E: op, cit, p18.
3 Fenton. E : op, cit, p 13. ; López. R: op, cit, p163.
4 Knapp. R: op, cit, p 221.
5 Stumpp. B. E; op, cit, p 219.

المدن، لا بل حتى في المقابر لا مشكلة لديهم؛ لذلك فقد نَظر إليهنّ الشاعر الروماني مارتيال على أنهنّ كائنات قذرة مثيرة للاشمئزاز [1].

والحقيقة، أنّ هذا النوع من البغايا كُنّ الأكثر اضطهاداً في المجتمع الروماني، إذْ، وعلى اعتبار أنهنّ كُنّ مستقلات عن بيوت الدعارة؛ لذلك لم يكن لديهنّ من يحميهن، فكانوا بالتالي عرضة للمضايقة وللأذى الجسدي[2].

ومن الأهمية بمكان القول، أنه وُجد في المجتمع الروماني نساء مارسن مهنة البغايا، ولكنهنّ لم يكنّ يندرجن ضمن أية فئة من الفئات التي جرى عرضها سالفاً، فكان بعضهن نادلات يعملن في الحانات أو أماكن استراحة المسافرين أو حتى في الحمامات[3] التي وُجد فيها غُرف خاصّة لممارسة البغاء[4]. والبعض الآخر كُن يعملن مغنيات أو ممثلات على المسرح[5]. وقد أشار الشاعر الروماني هوراس إلى هذا الترابط بين مهنة الدعارة من جهة والحانة والغناء والتمثيل من جهة أخرى[6].

كما أشارت المصادر القانونية الرومانية إلى هذا الترابط، فأورد أولبيانوس ما يلي: '' نحن نعتقد أن المرأة تمارس الدعارة علانيةً، ليس فقط عندما تفعل ذلك في منزل سيئ الشهرة(بيت دعارة) ، ولكن أيضاً إذا كانت مُعتادة على القيام بذلك في الحانات، أو في أماكن أخرى لا تُبدي فيها أي احتشام.''[7].

[1] Martial: Epigrams, I, 34, 8.
[2] López. R : op, cit, p160.
[3] Ammianus Marcellinus: History, XXVIII, 4, 9.
[4] زاهية، مضوي: المرأة في بلاد المغرب القديم منذ بداية العصور التاريخية إلى غاية نهاية الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه بإشراف: عليلي محمد وقفاف البشير، جامعة ابن خلدون- تيارت-، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2023م، ص 138.
[5] Chinchilla. G. M: op, cit, p 153.
[6] Horace: The Epistles, I, 14.
[7] Ulpianus: On the Lex Julia et Papia, In The Enactments of Justinian, The Digest Digest or Pandects, XXIII, 2, 43.

وأشار المؤرخ أميانوس مارسيلينوس (Ammianus Marcellinus) (حوالي 330- 391م) إلى تواجد البغايا في الحمامات العمومية، فقال ساخراً من بعض الرجال الذين ينتمون إلى نخبة المجتمع: '' مِثل هؤلاء الرجال، في الوقت الذي يتبعهم فيه خمسون خادماً، يدخلون الحمامات، ويصرخون مهددين: "أين الناس؟" ولكنهم إذا اكتشفوا فجأة وجود أية جارية مجهولة، أو أية مومسة عجوز كانت منذ فترة طويلة خانعة لملذات سكان المدينة، فإنهم يركضون، كما لو كانوا يفوزون في سباق، ويربتون عليها ويداعبونها باشمئزاز، ويمدحونها، كما قد يمدح البارثيون سميراميس، أو المصريون كليوباترة''[1].

وتُؤكّد الشواهد الأثرية وجود هذا النوع المُستقلّ من البغايا، إذْ عثر على نقش جنائزي لاتيني في منطقة إيزيرينا(Isernia) جنوبي إيطالية يُشير إلى وجود هذا النوع من البغايا على الطُرق خارج روما. والنقش عبارة قائمة أسعار مُترتبة على أحّد المسافرين الذين نزلوا في محطة استراحة، فذكر أنّه توجب على ذلك المسافر دفع مبلغ (8) آس[2] للعاملة في الخان مقابل الخدمات التي قدمتها له. وفيما يلي صورة للنقش يَظهر فيه شخص يمدّ يده وخلفه حصان، مما يشير إلى أنَّه مُسافِر، ويقف أمامه رجل يبدو وكأنه يعطيه شيء ما قد يكون فائض عن حساب جرى دفعه من قِبل المُسافِر[3].

[1] Ammianus Marcellinus: History, XXVIII, 4, 9.

[2] الآس: عملة رومانية كانت تُسكّ من البرونز، وهي أصغر فئات العملة الرومانية. وللوقوف على أهم العملات الرومانية، وما تساويه كل منها مقابل الأخرى، انظر: كيوان، خالد: الديناريوس الروماني (نشأة وتطوراً)، مجلة جامعة دمشق، المجلد (43)، العدد الأول، 2018م، ص 181.؛
Bunson. M: Encyclopedia of the Roman Empire, New York, 2002, pp 131- 135.

[3] Izquierdo. A. L: op, cit, p 39.

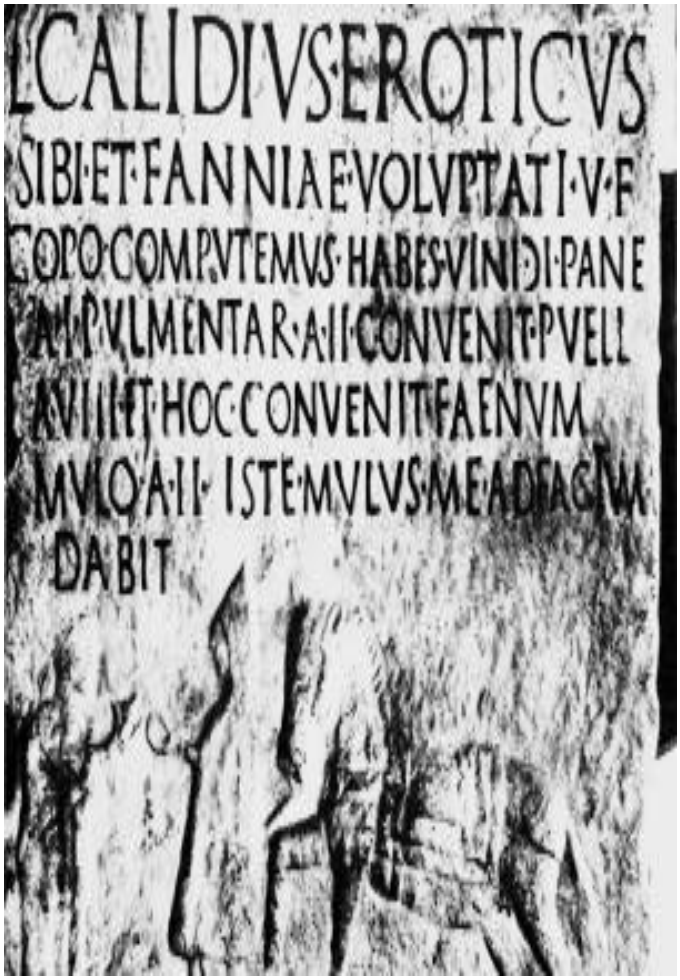


والواقع، أنّ هذا النوع من النساء لم يكونوا يعتمدون على الدعارة كمصدر للعيش، بل كانوا يمارسون الدعارة كمهنة ثانوية إلى جانب أعمالهنّ الأساسية، فكُنّ، مثلاً، يُقدمن المشروبات والطعام للأشخاص الذين يترددون على الحانة أو الخان، وفي الوقت نفسه يُقدمن لهم خدمات جنسية في حال طُلب منهنّ ذلك[1].

[1] Naselli. D. G: Prácticas sexuales en el Imperio Romano: amantes y clientes, Huellas de la Historia, núm. 34, año. 3, Julio, 2012, p 12.

**رابعاً: أُجور البغايا:**

تختلف الأُجور التي كان البغايا في العصر الروماني يتقاضونها مقابل الخدمات التي كُنّ يقدمنها لزبائهن. تلك الأسعار كانت تخضع لمكانة العاهرة وعُمرها، وجمالها والمكان التي تمارس فيه مهنتها[1]. وجرت الإشارة في الفقرة الخاصّة بفئات البغايا، إلى أنّ الأجرَ التي تتقاضاها العاهرة كان من بين المُحدّدات في تصنيف مكانتها بين أقرانها. وتُساعد المصادر الأدبية، بالموازاة مع قائمة الأسعار الموجودة على جدران بعض بيوت البغاء في مدينة بومبي، في رسم صورة أكاديمية لا بأس بها عن أسعار الخدمات الجنسية للبغايا في العصر الروماني.

ومن البديهي القول، أنّ المحظية كانت تنال أعلى أجر بين أقرانها، وهذا شيء يبدو طبيعياً في ضوء ما جرى ذكره سابقاً من أنّ زبائنها كانوا من نخبة المجتمع. ويُمكن الاستدلال على الأجر الكبير الذي كانت تحصل عليه المحظية من زبائنها من مقطع للشاعر الروماني مارتيال أشار فيه إلى أنّ أحّد الأشخاص دفع لمحظية تُدعى ليدا(Leda) مبلغ(100 ألف) سيستريس[2] لقاء خدماتها الجنسية[3]. ويُورد لوقيان السميساطي، في إحدى حواراته، أنّ إحدى المحظيات وتدعى كورينا(Corinna) حصلت

[1] Evans. K; War, woman and children in ancient Rome. London: Routledge, 1991, p 138.; Varone. A: Erotica pompeiana: love inscriptions on the walls of Pompeii. Translation by Ria P. Berg. Rome, 2002, p 144.

[2] السيستريس: أو السستار عملة رومانية كانت تُسكّ من البرونز. انظر: دقماق، لمى: النقود البيزنطية في سورية (330- 634م)، أطروحة دكتوراه، بإشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2009م، ص 75.

[3] يُعتبر مبلغ (100 ألف) سيستريس مبلغ ضخم جداً في الفترة التي عاش وكتب فيها مارتيال (عاش مارتيال بين عامي 40- 104م)، إذْ يُشير في فقرة أخرى إلى أنّ رجل روماني يُدعى أموينوس (Amoenus) اشترى منزل فخم بمبلغ (100 ألف) سيستريس، أضف إلى أنّ هذا المبلغ كان يعادل أجرة عشرات العمال المهرة في القرن الأول الميلادي؛ لذلك فإنّ للقارئ الحقّ في تخيل مدى ارتفاع مدخول بعض المحظيات في العصر الإمبراطوري الروماني. انظر:
Martial: Epigrams, XII, 66.; McLaughlin. R: The Roman Empire and the Indian Ocean, Pen & Sword Military, Great Britain, South Yorkshire, 2010, p 178.

على مبلغ(100) دراخمة دفعة واحدة مقابل إقامتها علاقة جسدية مع أحّد الرجال الأثرياء ويُدعى إيوكريتوس(Eucritos)[1].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ المحظية لم تكن تحصل على مبالغ نقديّة فقط، بل كانت تحصل، في كثير من الأحيان على هدايا فاخرة، من الأشخاص الذين تُصادقهم[2]، بالإضافة إلى قيام زبائنها في حالات عديدة بدفع أجار البيوت اللواتي كُن يسكنَّ فيها[3].

ويبدو أنّ بعض المحظيات تمكَّن نتيجة علاقاتهنّ من الوصول إلى درجة كبيرة من الثراء مما جعلهنّ موضع حَسَد من النساء في مجتمعهن، فذكر لوقيان نموذجاً لإحدى هؤلاء المحظيات الثريات وتُدعى دافنيس (Daphnis)، فأورد: '' لماذا يا كورينا! لماذا تبكين ألا ترين كم عدد المحظيات، وكيف يتم البحث عنهن جميعاً، وكيف يكسبون جميعاً المال؟! كنت أعرف دافنيس عندما كانت في حالة من الخمول والغباء. كان ذلك قبل أن تُفكِّر جيداً في كيفية الاستفادة من جسدها. انظري إليها الآن! إنها تتمايل مثل الملكة، وكُلها مرصعة بالذهب، وفساتين فاخرة ، وخلفها ما لا يقل عن أربعة عبيد''[4].

أمّا البغايا اللواتي كُنّ يعملن في بيوت البغاء، فلم يكن بإمكانهنّ تحديد السعر الواجب على زبائنهن دفعه، إذْ كانت مهمة تحديد السعر تقع على عاتق القواد أو مدير(ة) بيت الدعارة الذي يعملن فيه. ولكن يمكن القول أنّ الأسعار التي تقاضاها بيت البغاء كانت تتراوح بين قطعتين (آس) كحدّ أدنى، أي ربع دينار، وصولاً إلى (23) قطعة(آس) كحدّ أعلى[5]، مع الإشارة إلى أنّ المبلغ الأخير لم يظهر سوى مرّة واحدة في نقوش مدينة بومبي، أيّ أنه لم يكن مقياس، وأُعطي، على الأغلب، لعاهرة تحمل صفات الجمال والشباب.

1 Lucian: Dialogues of the Courtesans, VI.
2 Martial: Epigrams, II, 39.
3 Naselli. D. G: op, cit, p 10.
4 Lucian: Dialogues of the Courtesans, VI.
5 McGinn, T. A. J: op, cit, pp 295- 302.

والحقيقة، أنّ هذه المبالغ كانت تُعتبر مبالغ زهيدة في مقياس العملات الرومانية في العصر الإمبراطوري. فهي لا تكفي، أحياناً، لشراء كأس نبيذ واحدة. كما أنها كانت مُتاحة لشرائح كثيرة من المجتمع الروماني[1].

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّ البغايا اللواتي كُنّ يعملن في بيوت الدعارة، كّن مجبرات على إعطاء القسم الأكبر من دخلهم لمدير بيت الدعارة أو القوّاد مقابل تحمل تكاليف حياتهم من مأكل ومشرب، والسماح لهنّ بالمبيت في غرف مخصصة لهنّ في بيت البغاء[2].

أما الفئة الثالثة من البغايا، أيّ بائعات الهوى، فكانت أجورهنّ ضئيلة جداً، بل لا تكاد تُذكر بالمقارنة مع الفئات السابقة[3]، فلم تكن تزيد أحياناً على رُبع آس؛ لذلك أطلق عليهم الرومان مصطلح(quadrantaria) أيّ ربعيةً[4]، في إشارة إلى انخفاض مدخولهنّ وانحطاط قدرهنّ. ويبدو أنّ هذا الأجر المنخفض أجبر بائعات الهوى على إقامة عدّة علاقات جسدية في اليوم الواحد حتّى يتسنّى لهنّ جمع ما يكفي من المال لسدّ احتياجاتهنّ اليومية.

**وفيما يلي جدول توضيحي لأنواع البغايا، وأماكن ممارستهنّ لمهنة الدعارة، والأسعار التي كانوا يتقاضونها:**

| نوع المُومس | المبلغ الذي تتقاضاه | المكان الذي تُمارس فيه مهنتها |
|---|---|---|
| المحظية | مبلغ كبير قد يصل إلى (100 ألف) سيستريس. بالإضافة إلى هدايا قيمة | البيوت الفخمة التابعة لكبار رجال المجتمع الرومانيّ، أو بيوت فخمة يملكنها |
| مُومس بيوت البغاء | مبالغ متوسطة تتراوح بين قطعتين آس إلى (20) قطعة آس | بيوت الدعارة في أغلب الأحيان |
| بائعة الهوى | مبالغ ضئيلة جداً قد لا تتجاوز ربع آس فقط | جميع الأحياء الفقيرة، وضواحي المدن، حتى في المقابر |

[1] Richardson. S. L: The Brothel of Pompeii Sex, Class, And Gender at The Margins of Roman Society, Cambridge University Press, Cambridge, 2009, p 99.
[2] Fenton. E: op, cit, p1.
[3] Stumpp. B. E: op, cit, p 20.
[4] Knapp. R: op, cit, p 221.

**سادساً: هيكلية تجارة البغاء:**

كان لمهنة البغاء المُنظّمة في العصر الروماني هيكلية شبه واضحة، تشمل مجموعة من الأشخاص يقومون بمهمة إدارة عمل البغايا، وهؤلاء هم القوادون. كما شملت تلك الهيكلية بيوت الدعارة المنتشرة في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

والواقع، أنّ هذه الهيكلية تنطبق، بشكل أساسي، على البغايا اللواتي يمارسن عملهنّ في بيوت البغاء، أمّا المحظيات وبائعات الهوى، فلم يكن يخضعن لهذه الهيكلية على اعتبار أنهنّ كُنّ يمارسن البغاء بشكل مستقلّ.

**1- القوَّادون:**

كان القوّاد أحّد العناصر الرئيسية في مهنة الدعارة المنظمة في العصر الروماني، وكانت القوادة مُنتشرة بشكل كبير في المجتمع الروماني بدليل تعدّد الإشارات إليها في المصادر الرومانية.

عرّف المُشرّع الروماني القوّاد بعبارات واضحة حين أورد أولبيانوس: '' يكون الإنسان قوّادًا إذا كان لديه عبيد يُحقق الربح من بغائهم. ولكن إذا حصل أيّ شخص على مثل هذا الربح عن طريق أشخاص أحرار، فإنه يُصنّف في الفئة نفسها. بالإضافة إلى ذلك، يُعامل المرء المعاملة نفسها (أي يُوضع في خانة القوادين) سواء أكانت هذه مهنته الأساسية أو مارسها إلى جانب مهن أخرى كأنْ يكون، على سبيل المثال، مالك حانة أو إسطبل، وكان لديه عبيد يعتنون بالغرباء، وحصلوا على المال بهذه الطريقة(يقصد البغاء)، أو إذا كان صاحب حمّام، كما يحدث في بعض الولايات، حيث يكون لديه عبيد للاهتمام الملابس التي يتركها الناس ولكنهم في الوقت نفسه يَعرضون الجنس في أماكن عملهم''[1].

[1] Ulpianus: On the Lex Julia et Papia, Book VI, In The Enactments of Justinian, The Digest or Pandects, III, 2, 4, 2.

والحقيقة، أنّه وُجد في المجتمع الروماني العديد من المصطلحات التي تُشير إلى القوّاد، إلا أنّ المصطلح الأكثر انتشاراً كان" لينو(leno)"، واستُخدم للإشارة إلى القوادين من فئة الذكور. في حين استُخدم مصطلح" ليني(lenae) للإشارة إلى القوادين من فئة الإناث.

كما استخُدم مُصطلح" كونشيلياتريكس(conciliatrix)"، ويعني المُقرِّب. أمّا الشعراء الرومان فاستخدموا مصطلح" فينيفيكا(venefica)" للإشارة إلى القوادين من فئة الإناث. ويعني هذا المصطلح حرفيَّاً" الساحرة أو المُسمّمة"[1]. كنايةً عن دورها في بثّ السُمّ في المجتمع.

وكان القواد، في كثير من الأحيان، يملك بيت دعارة خاصّ به، إلا أنه كان من الممكن، أحياناً، أنْ يكون مالكاً لحانة أو خان أو حمّام، وفي هذه الحالة كان يُوظّف العاملات لديه في تصريف شؤون الخان وفي الوقت نفسه يُقدمن خدماتهن الجنسية لمن يرغب بها. وفي كل الأحوال كانت الأرباح تذهب إليه[2].

والواقع، أنّه يُمكن إجمال المهام التي يقوم بها القوّاد في إطار تهيئة البيئة المناسبة للبغايا لممارسة مهنتهن فيما يلي:

أ- كان يقوم بتجهيز بيت الدعارة، فيقوم بتأثيثه وتجهيزه بما يحتاجه من أثاث ومرافق ضرورية.

ب- يقوم بجمع عدد من البغايا في دور البغاء ويُعطيهن التوجيهات الضرورية لممارسة نشاطهنّ بصورة لا تُسبّب له أية مشاكل. ويُشير الشاعر الروماني جوفينال(Juvenal)( 55م - القرن الثاني الميلادي) في إحدى هجائياته التي يُهاجم فيها الإمبراطورة ميساليناMessalina)(20- 48 م) زوجة الإمبراطور كلاوديوس(Claudius)(41-

[1] Stumpp. B. E; op, cit, p 192.
[2] Fenton. E : op, cit, p1.

54 م) إلى أنّ القوّاد هو الذي كان يُحدد المَوعد الذي يتم فيه إغلاق بيت الدعارة الخاص به[1].

ج- يقوم بوضع لوائح بالأسعار التي تتقاضاها كل عاهرة من اللواتي يعملن لصالحه في بيت الدعارة.

د- كان القوّاد مسؤول بشكل مباشر أمام الحكومة الرومانيّة، وفكان يتوجّب عليه الحصول على الترخيص الضروري من الحكومة الرومانية بهدف ممارسة نشاطه من دون عوائق، كما كان مسؤولاً عن دفع الضرائب التي تفرضها السلطات على عمل بيت الدعارة الخاصّ به[2].

هـ- كان القوّاد مسؤول عن حماية البغايا اللواتي يعملن لصالحه، كما كان مسؤول عن إطعامهن وكسوتهن[3].

ومن الأهمية بمكان القول أنه، ونتيجة السمعة الاجتماعية السيئة للقوادين، قام بعض المواطنين الرومان بإدارة بيوت الدعارة الخاصة بهم دون الإفصاح عن مُليكتهم لها، وأوكلوا إدارتها إلى عبيد أو مُحررين يرتبطون بهم[4].

**2- بيوت البغاء:**

شكّلت بيوت البغاء مِفصلاً أساسياً في مهنة البغاء المُنظَّمة، فهي المكان الذي يتوجّه إليه الرومان الباحثون عن المتعة بأجر منخفض، كما كانت تحتضن الكمّ الأكبر من البغايا الذين قَدّر العلماء المحدثون عددهم في مدينة روما وحدها بحوالي(32 ألف) مُومس[5].

[1] Juvenal: The Satires, VI, 114- 135.
[2] Stumpp. B. E; op, cit, p 194.
[3] Knapp. R: op, cit, p 208.
[4] Stumpp. B. E; op, cit, p 210.
[5] López. R : op, cit, p 157.

استخدم الرومان مصطلح لوبانور(lupanar) اللاتيني" بشكل واسع للإشارة إلى بيت الدعارة او الماخور. وهذا المصطلح يعني حرفياً " وكر الذئاب"[1]. ومن المحتمل أنّ الرومان ربطوا بين الذئب والمُومس على اعتبار أنّ كلاهما يُلاحق فريسته ويُغريها حتى يتمكن من الإيقاع بها؛ لذلك قرنوا العاهرة بالذئب، وبيت الدعارة بوكر الذئاب في إشارة إلى سمعة وخطر كل منهما[2].

والحقيقة، أنّ بيوت البغاء كانت تنتشر في روما انتشاراً كبيراً الأمر الذي يُفسّر حضورها الكبير في المصادر الأدبية والآثرية على حدّ سواء. فأشار الخطيب اليوناني ديو كريسوستوم إلى أنّ بيوت الدعارة كانت موجودة في كل أجزاء روما، وذكر أنّه كان بإمكان المرء مُشاهدتها في الأسواق وبالقرب من منازل القضاة، وحتى قُرب المعابد؛ لذلك أَطلق تحذيراً من خطر هذا الانتشار، وطالب بإيقاف تجارة البغاء[3].

كما أشار المؤرخ الروماني سويتونيوس إلى وجود بيوت الدعارة في العاصمة روما، فأورد أنّ الإمبراطور كاليغولا وصل به الفجور والانحطاط إلى إقامة بيوت دعارة على تل البالاتين وأمر بتجهيز غُرفها وتأثيثها لتليق بمكانة الرجال والنساء الذين يترددون إليها، فأورد: '' من أجل عدم ترك أيِّ نوعٍ من الكسب دون تجربة، فتح(يقصد كاليغولا) بيوت دعارة في البالاتين، مع عدد من الغرف، مُؤثَّثة بشكل مناسب تليق بالمكان، حيث كانت النساء المُتزوِّجات والشباب الأحرار جاهزين لاستقبال الزوار. كما أرسل مبعوثيه إلى الأسواق والساحات، لدعوة الناس من جميع الأعمار، كباراً وصغاراً، إلى بيت الدعارة الخاص به، للحضور وإشباع شهواتهم، وكان على استعداد لإقراض زبائنه أموالاً بفائدة. وكان يُحضر الكَتَبَة لتدوين أسمائهم علناً باعتبارهم أشخاص ساهموا في إيرادات الإمبراطور.... لقد تفاخر بأنه لم يَسبق له أن حقق نجاحًا أفضل في حياته[4].

[1] McGinn. T. A. G: op, cit, pp 7- 8.
[2] Stumpp. B. E: op, cit, pp 21, 22.
[3] Dio Chrysostom: Discourses, The Euboean Discourse, 133.
[4] Suetonius: Lives of the Caesars, Caligula, XLI.

كما أشار الشاعر جوفينال إلى وجود بيوت الدعارة في روما عندما ذكر أنّ الإمبراطورة ميساليا كانت تنتظر نوم زوجها الإمبراطور كلاوديوس لتُغادر مُتنكرة إلى أحّد بيوت الدعارة حيث كان لديها هناك غرفة خاصة بها، وتبقى هناك حتى يقوم القوّاد بإقفال بيت الدعارة لتعود إلى القصر الإمبراطوري وهي غير قانعة بما ارتكبته من فواحش[1].

ويبدو من خلال المقطع الذي أورده جوفينال أنّ بيت الدعارة كان فيه العديد من الغرف بدليل أنّ الإمبراطورة ميساليا كان لها غرفة خاصة. كما يمكن الاستنتاج أنّ بيت الدعارة لم يكن يبعد مسافة كبيرة عن القصر الإمبراطوري بدليل أنّ ميساليا كانت قادرة على الذهاب إليه والعودة إلى القصر خلال وقت قصير.

وبالرغم من الإشارات الأدبية المُتفرّقة لبيوت الدعارة في روما ولا سيما في ضواحيها[2]، فإنّ مدينة بومبي الإيطالية ونتائج الأبحاث الآثرية التي تمّت فيها تبقى هي المصدر الأهم لدراسة تلك البيوت، إذْ كشف علماء الآثار عن كمّ كبير من البيوت التي ثُبُتَ أنها كانت مُخصّصة للبغاء. وقدّر علماء الآثار عدد بيوت البغاء في بومبي وحدها بـ (35) بيت، وهو عدد مُرتفع جدّا انطلاقاً من أنّ العلماء قدّروا مجمل عدد سكّان بومبي بحوالي (12) ألف نسمة. تلك البيوت المُكتشفة تحمل سمات ومعالم تجعل من السهل الحُكم على وظيفتها. من تلك السمات وجود قوائم بأسعار الخدمات التي تقدمها البغايا اللواتي كُنّ موجودات في تلك البيوت، بالإضافة إلى لوحات يُعطي بعضها إيحاءات جنسية وبعضها الآخر يُمثِّل مشاهد فاضحة. أضف إلى وجود غُرف متعددة، وفي كل غرفة سرير مصنوع إمّا من الخشب أو من الحجر[3].

[1] Juvenal: The Satires, VI, 114- 135.
[2] Petronius: The Satyricon, I. 7.; VII, 4.; Juvenal: The Satires, VI, 114- 135.
[3] Richardson. S. L: op, cit, pp 4, 5.

**سابعاً: الضرائب على البغايا:**

حقَّقت تجارة الدعارة وبيوت دعارة وبعض البغايا مداخيل ماليّة كبيرة فتحت شهية الحكومة الرومانيّة لنيل حصتها منها عن طريق فرض ضرائب على تلك المداخيل. ويُمكن القول، أنّ تجارة البغاء وفّرت للدولة الرومانية مداخيل عالية ظلّت مستمرة طوال عصر الإمبراطورية الرومانية[1].

والواقع، أنّ الضرائب على البغايا مُهمّة لناحية أنّها كانت الطريقة الوحيدة التي تدخلت بها الدولة الرومانية في عملهنّ، حيث أنهنّ تُركن يمارسن مهنتهن بحرية بشرط دفع ما يتوجّب عليهنّ من أموال للخزينة الرومانية[2].

لقد ألزمت الحكومة الرومانية جميع بيوت البغاء بالتسجيل لدى القُضاة ودفع ضريبة تُعرف باسم "ضريبة البغاء"(vectigalia meretricum) من أجل الحصول على رخصة عُرفت باسم" رخصة البغايا(meretricum licentia)" التي تسمح لهم بمزاولة مهنتهم بحُريّة[3]. وأوُكلت مهمة تحصيل هذه الضريبة إلى جباة الضرائب أو إلى موظفين عموميين، وأحياناً تولّى بعض الجنود هذه المهمة[4].

تحفظ المصادر الأدبية والآثرية معلومات مهمة بخصوص الضرائب التي فرضتها الحكومة الرومانية على البغايا في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية. فأشار المؤرخ الروماني سويتونيوس إلى أنّ الإمبراطور كاليغولا فرض ضريبة على المومسات والقوادين، فأورد: '' لقد فَرَضَ (يقصد كاليغولا) ضرائب جديدة.... لقد كان يتقاضى من مكاسب البغايا، مقدار يساوي ما يحصلون عليه في المُعاشرة الواحدة. كان هناك بند في

[1] Historia Augusta: The Life of Severus Alexander, XXIV, 3.;
أحمد، أسامة فايز استقلال: السقوط في الوحل نجاة من قسوة الحرمان (البغاء بدافع الفقر في العصر البيزنطي الباكر)، مجلة وقائع تاريخية، عدد (34)، الجزء الأول، كانون الثاني (يناير)، 2021م، ص54.

[2] López. R : op, cit, p169.

[3] Viñuelas. P. S : Marginadas: la realidad de ser prostituta y esclava en la Roma Imperial, Texas A&M University, 2017, p4.

[4] López. R : op, cit, p168.

القانون يفرض على جميع القوادين الذين يحتفظون بالنساء من أجل الدعارة أو البيع، أنْ يدفعوا ضريبة. حتى لو تزوجوا فلا يجب إعفائهم من دفع الضريبة''[1].

وهذه الفقرة التي أوردها سويتونيوس في معرض سيرة كاليغولا، تُعتبر فقرة مهمة لسببين، السبب الأول أنّها تُعطي قيمة الضريبة التي يتوجب على المُومس دفعها، وهي تعادل قيمة المُعاشرة الواحدة التي تقوم بها، أي إذا تقاضت المومس مبلغ (5) آس على المُعاشرة الواحدة، فيجب أنْ تَدفع على مُجمل عملها مبلغ (5) آس، وإذا تقاضت ديناريوس واحد على المُعاشرة الواحدة، فجيب أنْ تدفع على مُجمل عملها مبلغ ديناريوس واحد. أما السبب الثاني فهو أنها تُشير إلى أنّ القوادين كانوا يدفعون ضريبة أيضاً، أضف إلى أنّه أشار إلى أنّ القانون لم يستثنِ المُومسات اللواتي يتزوجن من دفع الضريبة. أيّ أن مصطلح مومس والضريبة المرافقة له يستمر مع المرأة حتى لو تزوجت.

ولكن، ومع الأسف، لا يشير سويتونيوس إلى طريقة تحصيل الضريبة إذا أكان يومي أمْ شهري أمْ أسبوعي. ولكن على الأرجح، منطقياً، أنّ التحصيل كان شهري. كما لا يُشير سويتونيوس إلى مقدار الضريبة التي كان يدفعها القوادون للحكومة الرومانية.

وتُقدم ولاية مصر الرومانية شاهداً مهماً على فرض الضرائب على البغايا، إذْ عَثر علماء الآثار على نقش شهير، يُعرف، اليوم، باسم " تعرفة كوبتوس"[2]، يُؤرّخ هذا النقش بالعام 90م[3]، فهو ينتهي بالقول: '' في السنة التاسعة(أيّ في العام 90م) من حكم الإمبراطور قيصر (دومتيانوس)(81– 96م) أوغسطس (جرمانيكوس)'' [4].

[1] Suetonius: Lives of the Caesars, Caligula, XL.

[2] محمد، محسن يوسف: التجارة الرومانيّة مع اليمن والهند والصين في العصر الإمبراطوري (27 ق.م- 330م)، أطروحة دكتوراه بإشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2018م، ص357- 360.

[3] نافتالي، لويس: الحياة في مصر في العصر الروماني، ص156.

[4] Young, G. K: Rome's Eastern Trade: International Commerce and Imperial Policy 31 BC– AD 305. London: Routledge, 2001, p43.

ويَظهر في هذه التعرفة أنواع عديدة من مُستخدمي الطريق بين كوبتوس(قفط) والبحر الأحمر مذكورة بالتوازي مع الضرائب المُخصّصة لكلّ صنف يستخدم الطريق. ومن الفئات التي ذكرتها تعرفة كوبتوس كان البغايا.

والحقيقة، أنّ قيمة الضريبة التي فُرضت على هؤلاء البغايا اللواتي كُنّ يعبرن بوابة قفط كان مرتفع جداً فبلغت(108) دراخمة[1]، مما يدلّ على أنّ عمل البغايا كان مربحاً بدرجة عالية، لذلك فُرضت عليهن تعرفة أعلى[2]، خاصّة أنّ منطقة عملهنّ كانت منطقة صحراوية ينشغل فيها الرجال بالعمل وبحراسة الطرق الصحراوية في الوقت الذي كان فيه قليل منهم يصطحب زوجاته معه، مما جعل من الخدمات التي تقدمها البغايا موضع طلب كبير[3].

وبلغ من شدّة الرقابة الحكومية الرومانية على عمل البغايا أنْ أعطت تراخيص يومية تسمح للعاهرة بالعمل ليوم واحد فقط، إذْ عُثر على ورقة بردي في صعيد مصر تحتوي تصريح أصدره اثنان من جباة الضرائب كُتب فيه: '' بيلياس (Pelaias) وسكراتون(Sokraton)، جُباة الضرائب، إلى العاهرة ثينابديلا(Thinabdella)، تحياتنا: نمنحك الإذن بممارسة الجنس مع من ترغبين في هذا المكان في اليوم الموضح أدناه. السنة (19)، اليوم الثالث من شهر فاوفي(Phaophi) (المُوافق لـ 11 تشرين الأول– 10 تشرين الثاني). سوكراتون بين سيمون(Simon)'' [4].

وفي الوقت الذي لا يذكر فيه هذا التصريح تاريخ أو مقدارها الضريبة التي يتوجَّب على المومس دفعها، فإنّ إيصال آخر يعود إلى مدينة طبية، يُؤرّخ بالسنة الأولى من حكم الإمبراطور نيرون، أي العام 54 م، يذكر أنّ مقدار الضريبة على البغايا كان (4) قطع دراخمة، فيُورد هذا الإيصال: '' باسيميس(Pasemis)، إلى سينبينمونثيس (Senpsenmonthes) أخت باسيميس، تحياتي: لقد تلقيت منك ضريبة على البغايا

[1] نافتالي، لويس: الحياة في مصر في العصر الروماني، ص157.

[2] Wallace-Hadrill. A: Rome's Cultural Revolution, Cambridge University Press, 2008, p 274.

[3] نافتالي، لويس: الحياة في مصر في العصر الروماني، ص161

[4] Knapp. R: op, cit, p 207.

في ميمنونيا(Memnonia)(طيبة) للسنة الأولى للإمبراطور نيرون، أربعة دراخمات. بتاريخ الخامس عشر من شهر فارموثي(Pharmouthi)(الموافق لـ 9 نيسان– 8 أيار)[1].

وفي دليل أثري أخر على الضرائب المفروضة على البغايا، يُورد قانون التعرفة الجمركية التدمرية، الذي يعود إلى العام 137 م أي إلى عهد الإمبراطور هادريان(Hadrian)(117– 138)[2]، فقرة تُشير إلى الضريبة المفروضة على المومسات، الذين وردن، في النصّ الآرامي من القانون تحت اسم" ز ن ي ت ا" أي الزانيات[3]. وحدّد النص الضريبي مقدار الضريبة بحسب الأجر التي تتقاضاها المومس، فإذا كانت تتقاضى على المعاشرة الواحدة مبلغ دينارويوس أو أكثر، فإنها تدفع على مجموع عملها مبلغ دينارويوس واحد. أما إذا كانت تتقاضى مبلغ (8) قطع آس، فإنها تدفع على مجموع عملها مبلغ (8) قطع آس، وإذا كانت تتقاضى مبلغ (6) قطع آس، فإنها تدفع على مجموع عملها مبلغ (6) قطع آس. ومع الأسف فإنّ القانون لا يُجدد إذا كانت هذه الضريبة على العمل اليومي أو الأسبوعي أو الشهري للمومس[4].

ويُلاحظ من خلال التعرفة الجمركية التدمرية أنّ الأسعار التي كانت تتقاضها البغايا لم تكن موحّدة بل كانت تبدأ بـ (6) قطع آس وتنتهي بدينار وقد يكون أكثر. وهذا يعتبر شاهد أخر على عدم تساوي البغايا في القيمة والمرتبة. كما يُلاحظ أنّ مقدار الضريبة الواردة في هذه التعرفة يتطابق مع ما أورده المؤرخ سويتونيوس بخصوص الضريبة التي فرضها الإمبراطور كاليغولا على البغايا[5].

---

[1] Knapp. R: op, cit, p 207.

[2] Mcginn. T. A. J: Prostitution, Sexuality and the Law in the Ancient Rome, Oxford University Press, Oxford, 1998, pp 282, 283.

[3] أحمد، علي صقر: القانون الضريبي في تدمر القديمة (دراسة لغوية- تاريخية)، مجلة جامعة البعث، المجلد (44)، العدد (4)، 2022م، ص 121.

[4] Matthews J. F: The Tax Law of Palmyra: Evidence for Economic History in a City of the Roman East, Journal of Roman Studies, No. 74, 1984, p 177.

[5] Suetonius: Lives of the Caesars, Caligula, XL.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ البغايا المستقلات شكّلن مُشكلة لجُباة الضرائب مُقارنةً بمن يمارسون الدعارة في بيوت الدعارة، ذلك أنّ هذه الأخيرة كان من السهل تسجيلها وفرض الضريبة عليها خاصّة أنّ مدير بيت الدعارة كان هو المسؤول عن دفع الضريبة وليس المُومس نفسها، في حين أنّ البغايا المستقلات كان بإمكانهم، في كثير من الأحيان الإفلات من دفع الضريبة[1].

**ثامناً: نظرة المجتمع الروماني إلى البغاء والبغايا:**

تطوي نظرة المجتمع الروماني إلى البغاء والبغايا الكثير من الظُلم الذي عانى منه فئة البغايا، لأنّ تلك النظرة كانت تكيل بمكيالين، إذْ أنه وفي الوقت الذي نظرت فيه بعض النخب السياسية والثقافية الرومانية إلى البغاء على أنّه ضرورة ونافع للمجتمع على اعتبار أنّه يُساهم في ضمان عفّة السيدات الرومانيات من خطر الوقوع في الزنا وفي حماية الشباب الروماني من الرذيلة، فإنّه وفي الوقت نفسه، قد نُظر إلى البغايا وكل من يعمل بتجارة البغاء كالقوادين على أنّهم فئة مُنحطّة لا يصلحون للقيام بأي عمل نظيف داخل المجتمع.

وتتجلى النظرة الإيجابية للمجتمع الروماني تجاه مهنة البغاء وممارسة الجنس خارج الزواج في مقطع أورده الشاعر هوراس نقلاً عن لسان السياسي الروماني كاتو الأكبر (Cato the Elder) (234- 149 ق.م) فرأى كاتو أنه لا يوجد سبب يمنع الشباب من التردد على بيوت البغاء طالما أنهم بعيدون عن النساء المُحصّنات. فأورد مُخاطباً أحد الشباب الذي صادفه وهو يخرج من بيت الدعارة: '' أحسنت يا سيدي. فبمُجرَّد أن تتضخَّم عروق الشهوة الكريهة، فمن الصواب أن يأتي الشباب إلى هنا(يقصد إلى بيت الدعارة)، وألا يحتكوا بزوجات الرجال الآخرين''[2].

ولكن يبدو أنّ الشاب أخذته نصيحة كاتو فكان من المُداومين على بيوت الدعارة، حيث صادفه كاتو وهو يخرج من بين الدعارة مرة أخرى؛ لذلك أنّبه بطريقة لا تخلو من

[1] Stumpp. B. E: op, cit, p 71.
[2] Horace: satires, I, 2, 31- 35.

الفكاهة، فقال له: '' أيُّها الشاب! لقد أثنيت عليك على أساس أنك تأتي إلى هنا من حين لآخر وليس على أساس أنك تعيش هنا''[1].

مصدر أدبي أخر يعكس هذه النظرة الإيجابية إلى مهنة البغاء، هو الشاعر بلاوتوس الذي شرّع للشباب الروماني ممارسة البغاء شريطة الابتعاد عن النساء المُحتشمات فأورد: '' لا أحد يدفعك بعيداً عن هناك (يقصد عن بيوت الدعارة)، ولا أحد يمنعك، إذا كان لديك المال، من شراء ما يُباع علناً (يقصد البغايا). لا أحد يمنع أي شخص من السير في الطريق العام(كنايةً عن البغايا)، طالما أنه لا يشقّ طريقه عبر الحقل المُسوَّج حوله، ما دُمت تُبقي نفسك بعيداً عن الزوجة والأرملة والعذراء والشباب والأطفال الأحرار، أَحِبَّ ما يحلو لك''[2].

وشارك أرتيميدروس أقرانه من المثقفين الرومان في نظرتهم إلى تردّد الشباب على بيوت الدعارة، فقال: '' ممارسة الجنس مع امرأة تعمل كعاهرة في بيت دعارة لا يعني إلا وصمة عار طفيفة ونفقات قليلة جداً''[3].

ونظر القانون الروماني بصورة إيجابية إلى مهنة البغاء، ذلك أن الدعارة لم تكن جريمة يُعاقب عليها القانون الروماني؛ لذلك جرى تشريعها وتنظيمها[4]، ونُظر إليه على أنه مهنة قانونية لا بل ضرورة مجتمعية[5]؛ لذللك وعلى الرغم من تهميش البغايا قانونياً إلا أنّ القانون الروماني لم يعاقبهنّ على ممارسة الدعارة[6].

وبالرغم من العدد الكبير للبغايا في المجتمع الرومانيّ، إلا أنّ الرومان نظروا إليهنّ من وجهة نظر اقتصادية بحتة، وجردوهنّ من كل المشاعر والأحاسيس، فلم يكونوا

---

[1] Horace: satires, I, 2, 31- 32.

[2] Plautus: Curculio, XXXII- XXXVII.

[3] Artemidorus: The interpretation of dreams, I, 78.

[4] مؤمن، علي مؤمن إدريس: الحياة الاجتماعية الرومانية خلال العهد الجمهوري (133- 27 ق.م)، رسالة ماجستير، بإشراف: عبد السلام محمد شلوف، جامعة بنغازي، 2010م، ص 60.

[5] Lundgren. A. K : op, cit, p24.

[6] López. R: op, cit, p166.

بنظر المجتمع والقانون أكثر من سلعة معروضة لكل من يرغب بها، وهذه النظرة تبدو بوضوح في كل الشواهد الأدبية سواء أكانت نصوص أدبية أمْ قانونية.

كانت نظرة المجتمع الروماني إلى البغايا والقوادين نظرة سلبية بل سوداء[1]، فكانوا في عيون المصادر الأدبية الرومانية كائنات شريرة وقذرة[2]. وعدّوا البغايا نساء متغطرسات ومتعجرفات[3]، وجشعات لا يهمهم إلا جمع المال من زبائنهنّ حتى لو كان بالاحتيال[4]. كما عدّ القانون الروماني البغايا نساء مُباحات لكل من يرغب بهنّ[5]؛ لذلك لذلك لم يكن يُسمح لهنّ بإبرام عقود زواج[6]، كما لم يُسمح لهنّ بالزواج من المواطنين الأحرار[7]، أو كتابة وصية أو الحصول على ميراث، ونُظر إليهم على أنهم سلعة عامّة[8]، وأنّ الضوابط المجتمعية من حب ومودة وأخلاق كانت أمور لا قيمة لها بالنسبة بالنسبة إليهم[9].

والواقع، أن المجتمع الروماني قَرَنَ بين البغايا وصِفة " العار"، هذه الصِفة التي ألصقها الرومان بكل من عمل في تجارة البغاء، ووضعوهم في خانة واحدة مع المصارعين والممثلين والموسيقيين والفنانين[10]. وعلى اعتبار أنّ كل من عمل

[1] Richardson. S. L: op, cit, p 2.
[2] Martial: Epigrams, I, 34, 8.
[3] Plautus: Truculentus, CLVII.
[4] Izquierdo. A. L : op, cit, p 36.
راجع كذلك الصفحة (12) من هذا البحث.
[5] Plautus: Curculio, XXXII- XXXVII.
[6] Mcginn. T. A. J; Prostitution, Sexuality and the Law in the Ancient Rome, op, cit, pp 93- 94.
[7] أحمد، أسامة فايز استقلال: البغاء بدافع الفقر في العصر البيزنطي الباكر، ص 54.
[8] Historia Augusta: The Life of Severus Alexander, XXXIV, 4.
[9] Mcginn. T. A. J; Prostitution, Sexuality and the Law in the Ancient Rome, op, cit, p 18.
[10] الهواري، رويدا عليوه: ألعاب الأطفال والموسيقى والرقص في شمال أفريقيا في العصر الروماني، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، المجلد(47)، العدد(100)، 2022م، ص 397.

بالمصارعة في العصر الروماني كان من طبقة العبيد؛ لذلك فقد نظر الرومان إلى البغايا نظرتهم إلى العبيد، ونظروا إلى القوّاد على أنّه تاجر عبيد[1].

ومن الأهمية بمكان القول، أنّه لتمييز البغايا داخل المجتمع الروماني، فإنّه لم يكن يُسمح لهم بارتداء الملابس التي كان يرتديها النساء المُحترمات وربّات المنازل، بل كُنّ ملزمات بارتداء لباس خاصّ بهنّ كان غالباً لباساً شفافاً أو لباساً بألوانٍ لافتةٍ للنظر. ويُقدم الشاعر مارتيال شاهداً مهماً على نظرة الازدراء الروماني تجاه البغايا، فقال: '' أنت تعطي الفساتين القرمزية والبنفسجية لعاهرة سيئة السمعة. هل تودُّ أن تهديها هدية تستحقها؟! إذن أرسل لها توغا'' [2].

**خاتمة:**

تناول هذا البحث، بالدراسة، فئة مهمّة من فئات المجتمع الروماني، وهي فئة البغايا. ومن خلال الدراسة الأكاديميّة لمختلف جوانب حياة هؤلاء البغايا وطبيعة عملهنّ ومكانتهنّ، فإنّ هذا البحث المُتواضع، قد خَلُصَ إلى جُملة من النتائج أهمّها:

1- كانت مهنة البغاء من أكثر المهن انتشاراً في المجتمع الروماني، ذلك الانتشار مُثبت في المصادر الأدبية والآثرية.

2- تعدّدت المصطلحات التي استخدمها الرومان للإشارة إلى البغايا، تلك المصطلحات توافقت في أغلب الأحيان مع مكانة المُومس وحظوتها.

3- من الظلم القول أنّ كل البغايا مارسن مهنة البغاء بصورة طوعيّة، إذْ أثبتت المصادر أنّ هناك أسباب متعددة دفعت بعض النساء في العصر الروماني للعمل في مهنة البغاء، تلك الأسباب تراوحت بين فقر بعضهنّ وانتماء بعضهن الأخر إلى

---

[1] López. R : op, cit, p159.

[2] Martial: Epigrams, II, 39.

والتوغا التي ذكرها مارتيال هي عباءة بيضاء صوفية فضفاضة كان يرتديها مختلف طبقات المجتمع الروماني، وكان يتمّ تمييز الأشخاص حسب طبقاتهم في ارتداء التوغا من خلال الشرائط الملونة. انظر: زاهية، مضوي: المرأة في بلاد المغرب القديم، ص 300.

طبقة العبيد، أو لأنّ بعضهنّ وجدن أنفسهنّ مرميات في الشوارع منذ اللحظة الأولى لولادتهنّ.

4- لم يَعرف المجتمع الروماني نوعاً واحداً من البغايا، بل وُجد فئات مختلفة منهنّ. فوُجد المحظيات، ومومسات بيوت الدعارة، وبائعات الهوى وهنّ أدنى فئات البغايا. هذا التنوع في فئات البغايا كان بسبب اختلاف مكانتهنّ والمكان الذي يمارسن فيه مهنة البغاء والأجور التي يتقاضونها وغير ذلك من المعايير.

5- كان لمهنة البغاء في العصر الروماني، كغيرها من المهنّ، هيكلية وإدارة تضمن تحقيق تجارة منظّمة تُدر أرباحاً كبيرة. تلك الإدارة كان يقوم بالدور الأول فيها القوادون أو المشرفون على بيوت الدعارة. تلك البيوت التي كانت تنتشر انتشاراً كبيراً مما يدلّ على أنّ خدمات البغايا كانت مَوضع طلب كبير في المجتمع الروماني.

6- أدركت الحكومة الرومانية كمّ الأرباح الذي تحققه تجارة البغاء؛ لذلك سعت إلى تنظيمها من خلال فرض ضرائب على عمل البغايا. تلك الضرائب كانت، في أغلب الأحيان، تتوافق مع مقدار الأجر الذي تتقاضاه المومس على المُعاشرة الواحدة.

7- نَظَرَ المجتمع الروماني إلى البغايا وعملهنّ نظرة تكيل بمكيالين، ففي الوقت الذي تسامح فيه مع مهنة البغاء ورأى فيها ضرورة مجتمعية، إلا أنّه همّش البغايا وكل المنخرطين في مهنة البغاء، ونَظر إليهم نظرة ملؤها الاحتقار والازدراء.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**أولاً: المصادر المُعرّبة:**

1- الكتاب المُقدّس: الطبعة الكاثوليكيّة، دار الكتاب المُقدّس في الشرق الأوسط، بيروت، 1992م.

2- أرسطوطاليس: السياسة، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهلير، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيّد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1947م.

3- أوفيد: مسخ الكائنات، نقله إلى العربية وقدّم له: ثروت عكاشة، راجعه عن الأصل اللاتيني: مجدي وهبي، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

4- بلوتارك: تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م.

5- هوراس: فنّ الشعر، ترجمة: لويس عوض، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م.

**ثانياً: المصادر الأجنبية:**

1- Ammianus Marcellinus; Ammianus History (The Later Roman Empire) (AD 354-378). Translated by; Walter. W, Penguin,1986

2- Artemidorus: The interpretation of dreams, Translated by: Clinton Walker Keyes, Cambridge and London, Loeb Classical Library, 1928.

3- Clement of Alexandria: The Paedagogus, Translated by: Yonge. C. D, London, 1915.

4- Dio Cassius: The Roman History, Translated by: Ian Scott-Kilvert, Penguin Ltd, London, 1987.

5- Dio Chrysostom: Discourses, The Euboean Discours, Translated by: Cohoon. J. W, Cambridge: Harvard University Press, 1961.

6- Historia Augusta: The Life of Severus Alexander, http://penelope.uchicago.edu/Thayer/E/Roman/Texts/Historia_Augusta/, [Accessed 3rd May 2012- 31st March 2013].

7- Horace: Satires, Epistles, Odes, and Ars Poetica, Translated by: H. Rushton F. H, Loeb Classical Library, Cambridge and London, 1926.

8- Juvenal: The Satires, translated by: Kline. A. S.

http://www.poetryintranslation.com/klineasjuvenal.htm, [Accessed 3rd May 2012- 31st March 2013].

9- Livy; History of Rome, Translated by: Foster. B. O, Harvard University Press, Cambridge, 1919.

10- Lucian: The works of Lucian, complete with exceptions specified in the preface, Translated by: Fowler. H. W. and Fowler, F. G, Clarendon Press Oxford, 1949.

11- Martial: Epigrams of Martial, Translated by: Sullivan. J. P and Whigham. P, Berkeley, University of California Press, 1987.

12 - Petronius; Satyricon, Translated by: Heseltine. M, London 1913.

13- Plautus: The works of Plautus, translated by: Hutchinson, G. O, Cambridge University, Cambridge, 2006,

14- Suetonius: The Life of Horace, Translated by: Catharine Edwards, Oxford: Oxford University Press, 2000.

15- Suetonius: Lives of the Caesars, Translated by; Catharine Edwards, Oxford: Oxford University Press, 2000.

16- Tacitus: Annales, Translated by: Sir Peterson. W, revised by: Winterbottom. M, Loeb Classical Library, Cambridge and London,1914.

17- Terence: Heauton Timorumenos, Translated by: Thomas H. Corcoran. Cambridge: Harvard University Press, 1971-1972.

18- Ulpianus: On the Lex Julia et Papia, In The Enactments of Justinian, The Digest or Pandects,

**ثالثاً: المراجع العربية:**

1- أحمد، أسامة فايز استقلال: السقوط في الوحل نجاة من قسوة الحرمان (البغاء بدافع الفقر في العصر البيزنطي الباكر)، مجلة وقائع تاريخية، عدد (34)، الجزء الأول، كانون الثاني، 2021م.

2- أحمد، علي صقر: القانون الضريبي في تدمر القديمة (دراسة لغوية- تاريخية)، مجلة جامعة البعث، المجلد (44)، العدد (4)، 2022م.

3- أنديشة، أحمد محمد والقماطي، حميدة: الأسرة الرومانية زمن الإمبراطور أوغسطس 27ق.م- 14م، العدد الثاني، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراته، 2014م.

4- حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأوّل قبل الميلاد، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددان(117- 118)، كانون الثاني- حزيران، دمشق، 2012م.

5- ددلي، دونالدر: حضارة روما، ترجمة: فاروق فريد وجميل يواقيم الذهبي، مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1979م.

6- دقماق، لمى: النقود البيزنطية في سورية (330- 634م)، أطروحة دكتوراه، بإشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2009م.

7- الروبي، آمال محمد: مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني اجتماعياً واقتصادياً وإدارياً، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.

8- زاهية، مضوي: المرأة في بلاد المغرب القديم منذ بداية العصور التاريخية إلى غاية نهاية الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه، بإشراف: عليلي محمد وقفاف البشير، جامعة ابن خلدون- تيارت-، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2023م.

9- فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم (من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب)، أطروحة دكتوراه، بإشراف: محمد رشدي جرايه، جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي، الجزائر، 2020/ 2021م.

10- كيوان، خالد: الديناريوس الروماني (نشأة وتطوراً)، مجلة جامعة دمشق، المجلد (43)، العدد الأول، 2018م.

11- محمد، محسن يوسف: التجارة الرومانيّة مع اليمن والهند والصين في العصر الإمبراطوري (27 ق.م- 330م)، أطروحة دكتوراه، بإشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2018م.

12- محمد، محسن يوسف: رعاية الأطفال الرُضَّع في العصر الروماني (27 ق.م- 200م)، مجلة جامعة العبث، المجلد (44)، العدد (8)، 2022م.

13- المعجم الوجيز، معجم اللغة العربية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، 1989م.

14- مؤمن، علي مؤمن إدريس: الحياة الاجتماعية الرومانية خلال العهد الجمهوري (133- 27 ق.م)، رسالة ماجستير، بإشراف: عبد السلام محمد شلوف، جامعة بنغازي، 2010م.

15- نافتالي، لويس: الحياة في مصر في العصر الروماني (30 ق.م- 284م)، ترجمة وتعليق: آمال الروبي، مراجعة: محمد حمدي إبراهيم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 1997م.

**رابعاً: المراجع الأجنبية:**

1- Adams. J. N: Words for Prostitute' in Latin, Rheinisches Museum fur Philologiea, No. 126, 1983.
2- Bagnall. R. S: Egypt in Late Antiquity, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1993.
3- Berg. R, Neudecker . R: The Roman Courtesan, Archaeological reflections of a literary topos, Acta Instituti Romani Finlandiae, Roma, 2018.
4- Bunson. M: Encyclopedia of the Roman Empire, New York, 2002.
5- Evans. K: War, woman and children in ancient Rome. London: Routledge, 1991.
6- Fenton. E: Prostitution as Labor in Imperial Roma, Studies in Mediterranean Antiquity and Classics, vol. 1, Iss. 1 Art. 3, 2007.
7- González. H, Pastor. S: Prostitución y matrimonio en Roma? Uniones de hecho o de derecho?", Iberia, No. 8, 2005.
8- Gowland. R, and others: On the Brink of Being: Re-evaluating Infanticide and Infant Burial in Roman Britain, Journal of Roman archaeology supplementary series, No. 96.
9- Izquierdo. A. L: La Prostitución En Roma En El Siglo I D.C, Trabajo De Fin De Grado, Supervisor: José Luis Cañizar Palacios, Facultad De Filosofía Y Letras, Universidad De Cádiz, 2021.
10- Knapp. R: invisible romans, Prostitutes, outlaws, slaves, gladiators, ordinary men and women.… the Romans that history forgot, Profile Books Ltd, London, 2011.
11- López. R: "El Oficio Más Antiguo Del Mundo". Prostitución Y Explotación Sexual En La Antigua Roma, Revista de Estudios de las Mujeres, Vol. 4, 2016.
12- Lundgren. A. K: The Pastime of Venus, An Archaeological Investegation Of Male Sexuality And Prostitution In Pompeii, Master Thesis, Faculty Of Humanities, University Of Oslo, 2014.

13- Matthews J. F: The Tax Law of Palmyra: Evidence for Economic History in a City of the Roman East, Journal of Roman Studies, No. 74, 1984.
14- Mcginn. T. A. J: Prostitution, Sexuality and the Law in the Ancient Rome, Oxford University Press, Oxford, 1998.
15- Mcginn. T. A. J: The Economy Of Prostitution In The Roman World, the university of Michigan press, 2004.

16- McLaughlin. R; The Roman Empire and the Indian Ocean, Pen & Sword Military, Great Britain, South Yorkshire, 2010.
17- Merlin. A : Le temple d'Apollon à Bulla Regia. Paris, 1908.
18- Naselli. D. G: Prácticas sexuales en el Imperio Romano: amantes y clientes, Huellas de la Historia, núm. 34, año. 3, Julio, 2012.
19- Richardson. S. L: The Brothel of Pompeii Sex, Class, And Gender at The Margins of Roman Society, Cambridge University Press, Cambridge, 2009.
20- Strong. A: Prostitutes and Matrons in the Roman World. Cambridge: Cambridge University Press, 2016.
21- Stumpp. B. E: Prostitution in der römischen Antike, Akademie Verlag, Berlin, 1998.
22- Trimble. J; The Zoninus Collar and the Archaeology of Roman Slavery, American Journal of Archaeology, Vol. 120, No. 3, July, 2016.
23- Varone, A: Erotica pompeiana: love inscriptions on the walls of Pompeii. Translation by Ria P. Berg. Rome, 2002.
24- Viñuelas. P. S: Marginadas: la realidad de ser prostituta y esclava en la Roma Imperial, Texas A&M University, 2017.
25- Wallace-Hadrill. A: Rome's Cultural Revolution, Cambridge University Press, 2008.
26- Young, G. K: Rome's Eastern Trade: International Commerce and Imperial Policy 31 BC– AD 305. London: Routledge, 2001.
27- Zanuy. Q: La interdicción lingüística en las denominaciones latinas para «prostituta», Revista de Estudios Latinos, Vol. 4. No. 1, 2013.

# دراسة جيومورفولوجيَّة حقلية لمُقتطعَات تحت السَّطْح في حوض نهر الحصين

**الدكتور سعيد إبراهيم***

**الملخص**

تَمَّ في هذا البحث، لِأول مرَّةٍ، تحديدُ أماكن وجود إحدَى المظاهر الجيومورفولوجيَّة الكارستيَّة يُدعَى: مُقتطَع تحت السَّطْح (Subterranean Cut off)، والذي يُؤدِّي وجودُهُ إلى غِيابِ مياه النهر تحت سطح الأرض في أحد الأماكن، ثم عودتها إلى الظُّهور في مكانٍ آخر باتجاه المصبِّ. حيث قُمنا خلال هذه الدراسة بتحديد أماكن وجود هذه المُقتطعَات في مجرى نهر الحصين، ومجاري النهرين الرئيسيين اللذين يرفدانه، وهما: (نهر قيس، ونهر البلوطة)، حيث يُؤدِّي وجودُ المُقتطعَاتِ في هذه المجاري إلى حدوث الجريان النهريِّ المتقطّع بشكلٍ واضحٍ خلال فصل الصيف.

وكانت نتيجةُ هذه الدراسة الحقليَّة تحديد وجود ثلاث مناطق احتوت على مقتطعٍ تحت السَّطْح في مجرى نهر قيس، وثلاثة مُقتطعات أخرى في مجرى نهر البلوطة، أما في مجرى النهر الحصين السفليّ (بعد نقطة الملتقى) فقد تمكَّنا من تحديد مكانٍ واحدٍ احتوى على مقتطعٍ تحت السَّطْح ، كما قدَّمنا في نهاية البحث تفسيراً لوجود الوادي النهريّ الضيق في القسم الأسفل من مجرى نهر الحصين، وذلك من خلال الكشف عن وجود مقتطع تحت السَّطْح في هذه المنطقة، والذي يقومُ بتحويل الجريانِ السَّطْحيِّ للنهر إلى جريانٍ باطنيٍّ تحت سطح الأرض، مما يُضعِفُ النَّشاط الحتيَّ للنهر، ولا يسمح له بتشكيل وادٍ نهريٍّ عريضٍ.

**الكلمات المفتاحية:** مُقتطَع تحت السَّطْح – مظاهر كارستية – حوض نهر الحصين – نهر قيس – نهر البلوطة.

* أستاذ مساعد في قسم الجغرافيا (اختصاص جيولوجيا)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، سوريا.

# A Geomorphological Field Study of the Subterranean Cut-Off in Al Hossein River Basin

**Dr. Said Ibrahim**[*]

## ABSTRACT

In this research and for the first time, one of the karstic geomorphological phenomena called (Subterranean Cut-Off) has been identified. This geomorphological phenomenon leads to disappeared river water into underground at some locations then appeared at other location towards estuary. During this study we located the locations of these subterranean Cut-Offs at Al Hossein River basin and at the basins of its main two tributaries namely (Qais River and Al Balutah River) existing of these subterranean Cut-Offs at rivers basins leads to the occurrence of non-continuous river runoff clearly during the Summer.

The result of this study was to determine three locations of subterranean Cut-Offs at Qais River basin and other three locations at Al Balutah River basin, while at Al Hossein lower riverbed (after the confluence place) one subterranean cut-off has been located. At the end of the research, we also presented an explanation for the presence of a narrow river valley at the lower part of Al Hossein Riverbed, by revealing the presence of a subterranean cut-off in this place, which converts the surface runoff of the river into an underground runoff, which weakens the erosion activity of the river and does not allow it to form a wide river valley.

**Keywords**: Subterranean Cut-Off, Al Hossein River Basin, Karstic Cavern, Qais River, Al Balutah River.

[*] Associate Professor (geologist) in the Department of Geography, Faculty of Arts and Humanities; Tartous University, Syria.

**مقدمة:**

تتشكل في مناطق انتشار الصخور الكلسية القابلة للانحلال الكارستي كثير من المظاهر الكارستية السَّطْحية وتحت السطحية. وتعد حفر الابتلاع الكارستي أو الدحول الكارستية (Sink Holes) من المظاهر الكارستية التي تؤثر بشكل كبير على الجريان السَّطْحي في مناطق تكشف هذه الصخور، حيث يؤدي وجود هذه الفتحات في المجاري النهرية إلى حدوث عملية ابتلاع لمياه النهر وانتقالها للجريان عبر شبكة الأنفاق الكارستية تحت السطحية مما يؤدي لحدوث أحد أشكال الأسر النهري الباطني [1]، والذي يترافق حدوثه مع وجود مظاهر كارستية معينة مثل الأودية العمياء (Blind Valley)، و مُقتطَع تحت السَّطْح (Subterranean Cut off).

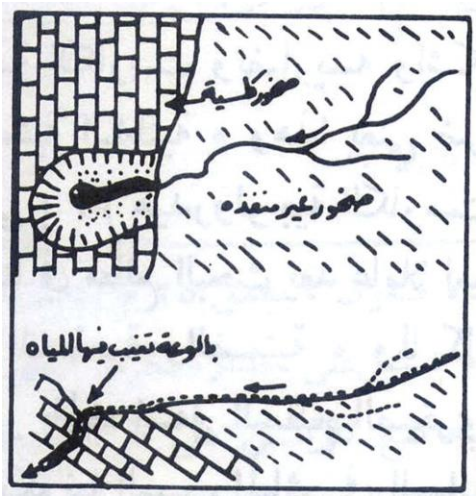


**الشكل رقم 1: يوضح تشكل الوادي الأعمى والبالوعة في منطقة كارستية [1].**

فالأودية العمياء هي مظهر تضريسي سطحي مركب ضمن الأراضي الكارستية، حيث تكون مؤلفة من وادي نهري عادي يجري لمسافة معينة ثم يختفي ماء النهر في منخفض أو بالوعة بشكل مفاجئ (شكل 1). وكثيراً ما تفيض مياه النهر عند البالوعة في فصول الفيضان وذلك عندما تزيد كمية مياه النهر عن مقدار استيعاب قناة البالوعة المصرفة [1].

أما مُقتَطَعٌ تحت السَّطْح فهو تحوُّلُ الجريان السَّطْحيّ لنهرٍ ما كلياً أو جزئياً إلى جريان جَوفِيٍّ، حَيْثُ يسيرُ النَّهرُ تحت الأرض مَسَافَةً مُعَيَّنَة، لتعود مياهه بعد ذلك إلى الظُّهور والجريان فوق سطح الأرض من جديد، وبالتالي يتكون مقتطع تحت السَّطْح من ثلاثة أجزاء هي: حفرة ابتلاع في جهة عالية النهر من رأس المنعطف (الثنية) التي تغور فيها المياه، ومجرى باطني أو قناة يجري فيها الماء وتسمى في الغالب بالنفق الطبيعي

(Natural Tunnel)، ثم مطلع تدفق الماء ثانية من جهة المصب [2]. وبذلك يتشابه مقتطع تحت السَّطْح في منطقة بدايته مع الوادي الأعمى، ولكنه يختلف عنه بوجود مطلع محدد لخروج المياه التي تم ابتلاعها، في حين أن مياه الوادي الأعمى يصبح مصيرها مجهولاً أثناء جريانها تحت الأرض. ويعد مقتطعان تحت السَّطْح الموجودان في مجرى نهر بوكارد (Boggard Creek) في ولاية انديانا الأمريكية نموذجين علميّين لوجود هذا النمط من المظاهر الكارستية (شكل 2). حيث كان العالم مالوت (Malott) قد درس هذه المقتطع بشكل مفصل، واقترح استبدال مصطلح الأسر الذاتي (الذي قد يبدو متناقض المعنى)، واعتبر أن استخدام مصطلح مقتطع تحت السَّطْح يعطي مدلول علمي أكثر واقعية [3].

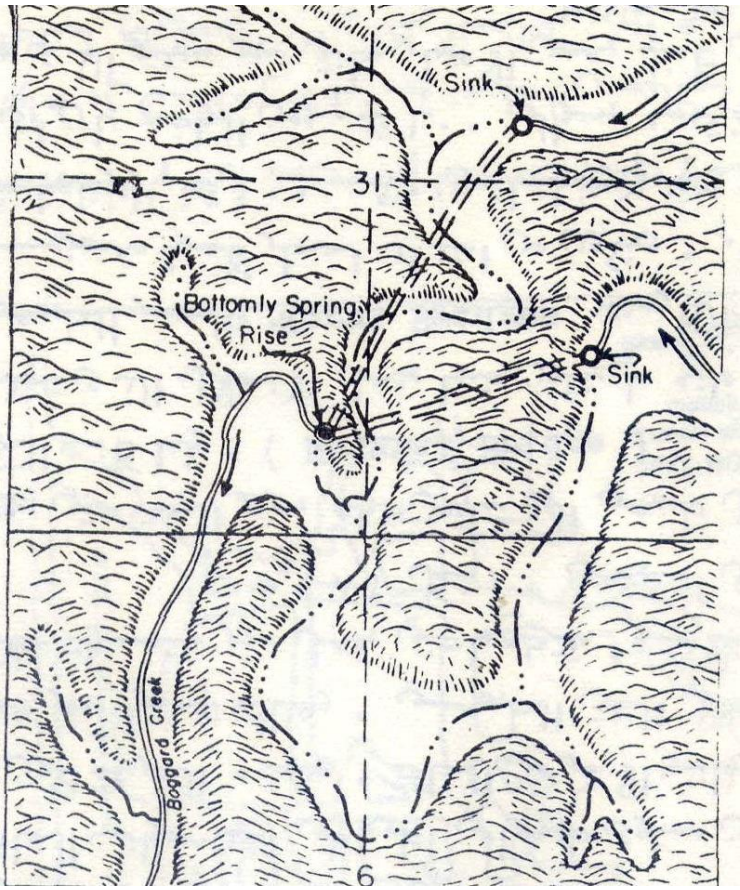


**الشكل رقم 2: صورة توضح مكان وجود مقتطعان تحت السَّطْح في مجرى نهر بوكارد (Boggard Creek) [2].**

توجد مقتطعات تحت السَّطْح إلى جانب المظاهر الكارستية الأخرى في أماكن مختلفة من العالم حيث توجد الصخور الكلسية الكارستية. ففي شمال غرب سلوفينيا تختفي مياه نهر بيفكا (Pivka) في بالوعة على شكل مغارة بالقرب من بلدة بوستوجنا (Postojna Cave)، لتعود وتظهر فوق السَّطْح من خلال كهف آخر عند بلدة بلانينا (Planina Cave)، وذلك على بعد حوالي 5 كم شمال شرق بوستوجينا وذلك على شكل نهر يدعى أونيتشا (Unica river). ثم تغيب مياه هذا النهر مرة أخرى لتعود وتنبثق من جديد على شكل نبع كبير يشكل نهر ليوبلينا (Ljubljanica river) [1]. أما محلياً فيعد مقتطع تحت السَّطْح الموجود في القسم الأوسط من مجرى نهر الأبرش من أوضح الأمثلة على وجود هذا المظهر الكارستي في الأودية النهرية المحلية، حيث يمتد هذا المقتطع لمسافة حوالي 7 كم، وذلك من منطقة الابتلاع بالقرب من قرية كفر صنيف وحتى مطلع المياه في عيون الغار إلى الغرب من بلدة السيسنية [4]، [5].

**منطقة البحث:** تقع منطقة البحث على امتداد حوض نهر الحصين والأنهار الرئيسية التي ترفده (نهر قيس ونهر البلوطة). حيث يعد نهر الحصين وروافده من الأودية التابعة التي يتوافق امتدادها مع الانحدار الطبوغرافي للنهر، ومع ميل الطبقات الصخرية نحوا الغرب [6]. تقع منطقة الدراسة في رقع الخرائط طرطوس، صافيتا، بالإضافة إلى القسم الجنوبي من رقعة القدموس (مقياس $\frac{1}{50.000}$). حيث تبدو المنطقة المدروسة بشكل مستطيل ممتد من الشرق نحو الغرب لمسافة حوالي 35 كم، ومن الشمال إلى الجنوب بعرض حوالي 15 كم (شكل 3). أما إحداثيات هذه المنطقة بالنسبة لدوائر العرض فهي تمتد اعتباراً من الموقع (″52. ′53. °34 N)، وتنتهي عند الموقع (″15. ′02. °35 N). أما بالنسبة لخطوط الطول فهي تمتد من الموقع (″39. ′52. °35 E)، وحتى الموقع (″40. ′16. °36 E).

أجريت في منطقة الدراسة العديد من الدراسات الجيولوجية والجيومورفولوجية السابقة. منها أعمال المسح الجيولوجي التي قامت بها مجموعة من الجيولوجيين السوريين العاملين في المؤسسة العامة للجيولوجيا خلال الأعوام 1971 – 1982 م، والتي تم بنتيجتها وضع خرائط جيولوجية تغطي سلسلة الجبال الساحلية السورية بمقياس $\frac{1}{50.000}$

مع مذكرتها الإيضاحية [7]. بالإضافة لذلك تم إنجاز العديد من الدراسات والأبحاث التي شملت حوض نهر الحصين وروافده الرئيسية، أهمها:

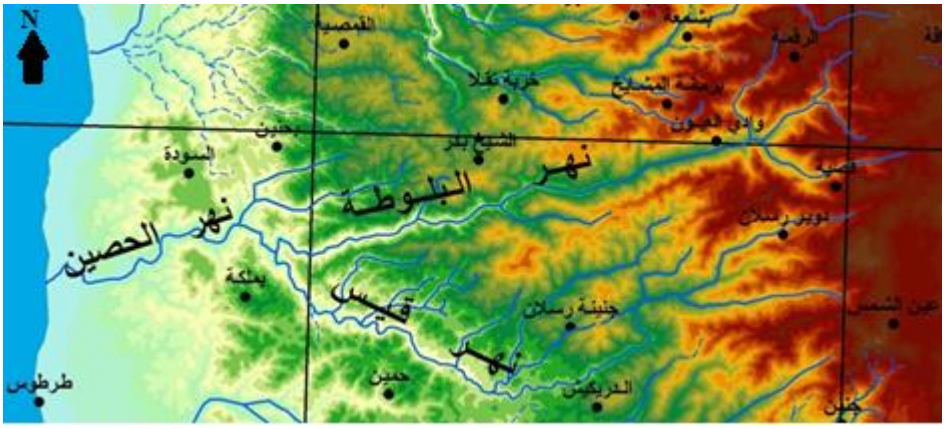


**الشكل رقم 3: صورة توضح طبوغرافية حوض نهر الحصين وروافده الرئيسية والتي هي نهر البلوطة ونهر قيس. ولقد حصل عليها الباحث باستخدام نموذج الارتفاع الرقمي (DEM)، دقة 12.5 متر (فارق الارتفاعات بين الدرجات اللونية 50 متر).**

- دراسة قام بها (جرجور، 2001 م)، تم خلالها دراسة التنوع الحيوي للعوالق النباتية في نهر الحصين، والتي تبين بنتيجتها أن مياه نهر الحصين تعاني من التلوث بدرجات مختلفة، وأن صلاحية مياهه تنحصر في استخدامها في الأعمال الصناعية والزراعية وغير صالحة للشرب أو للسباحة [8].
- دراسة قام بها (عبدو وآخرون، 2018 م)، تم خلالها دراسة ترتيب أولويات الصيانة الهيدرولوجية المُسندة على البارامترات الجيوهيدرومورفومترية في حوض نهر قيس [9].
- دراسة قام بها (صالح وآخرون، 2021 م)، تم خلالها القيام بدراسة التضاريس الجيومورفولوجية في حوض نهر قيس. والتي تبين بنتيجتها أن هذه التضاريس يمكن تقسيمها إلى وحدتين رئيسيتين، حيث تشمل الوحدة الأولى الأشكال الأرضية البنيوية، أما الوحدة الثانية فتشمل الأشكال الأرضية الحركية – المناخية [10].

- دراسة قام بها (إبراهيم، 2021 م)، تم خلالها تقديم دراسة جيومورفولوجية لحادثة الأسر النهري في وادي نهر قيس، وتحديد عناصر عملية الأسر النهري مثل مكان كوع الأسر، ومكان وجود الثغرة الجافة، والثغرة المائية، ووضع تفسير لتشكل الوادي العكسي في المنطقة [11].

ولقد تبين نتيجة الاطلاع على هذه الأبحاث أنها لم تشر إلى وجود ظاهرة مقتطع تحت السَّطْح في أي مكان من هذا الحوض النهري. أما الدراسة الوحيدة التي كانت قد أكدت وجود مقتطع تحت السَّطْح في المنطقة فهي الدراسة التي قام بها (إبراهيم، 2022 م)، والتي أثبت من خلالها وجود هذا المظهر الجيومورفولوجي الكارستي في مجرى نهر الأبرش جنوب صافيتا [5].

**أهمية البحث وأهدافه:**

تأتي أهمية هذا البحث من كونه، للمرة الأولى، تتم دراسة مقتطعات تحت السَّطْح الموجودة في مجرى نهر الحصين والأنهار الرئيسية التي ترفده (نهر قيس، ونهر البلوطة). حيث لم يقُم أحد سابقاً بتتبع تكرار هذه الظاهرة على امتداد مجاري هذه الأنهار ووضع تفسير علمي واضح لها. لذلك سوف نقوم في سياق هذا البحث بتحديد أماكن وجود هذه المقتطعات ودراسة تأثيرها على الجريان السَّطْحي في هذه الأودية النهرية. وسوف يتحقق ذلك من خلال الأهداف التالية:

1. تحديد أماكن وجود مقتطعات تحت السَّطْح في هذه المجاري النهرية من خلال مراقبة جريان هذه الأنهار خلال فصل الصيف وبداية فصل الخريف، وذلك لأن جريان هذه الأنهار الغزير خلال مواسم هطول الأمطار في المنطقة لا يسمح بالقيام بمثل هذه المراقبة.
2. إيضاح الدور الذي تقوم به هذه المقتطعات في تحديد جريان النهر في منطقة ما، وعدم جريانه في منطقة أخرى وذلك على امتداد المجرى النهري.

3. تقديم رؤيا جديد لوجود بعض الينابيع في مجاري هذه الأنهار، وذلك على اعتبار أن مياه هذه الينابيع (أو قسم منها) قادم من المياه التي تم ابتلاعها، والتي كانت تجري في القسم الأعلى من المجرى النهري.
4. تقديم اقتراحات لدراسة التلوث الذي يمكن أن يسببه وجود هذه المقتطعات على نوعية المياه في الينابيع المتعلق وجودها مع مناطق اعادة التدفق لهذه المقتطعات.

**طرائق البحث ومواده:** تم في سياق البحث الاعتماد على جملة من المعطيات والأدوات المتوفّرة عن المنطقة وهي:

1. الخرائط الطبوغرافية لرقع الخرائط التي تغطي أراضي حوض نهر الحصين مقياس $\frac{1}{50.000}$، [12].
2. الخرائط الجيولوجية لرقع الخرائط الطبوغرافية السابقة، مقياس $\frac{1}{50.000}$، مع مذكراتها الإيضاحية [7].
3. الصور الفضائية للمنطقة المدروسة من الموقع (Google Erath Pro)، [13].
4. صور نموذج الارتفاع الرقمي للمنطقة المدروسة (D. E. M) وتحليلها باستخدام البرنامج (Global Mapper 21).
5. الجولات الميدانية التي قام بها الباحث لمنطقة الدراسة خلال صيف وخريف العام 2022 م، مستخدما كاميرا تصوير، وجهاز G P S.

**النتائج والمناقشة:**

**1- البنية الجيولوجية للمنطقة المدروسة:** بما أن المنطقة المدروسة تقع على السفح الغربي للجبال الساحلية السورية، فإنّ البنية الجيولوجية لهذه المنطقة ترتبط مع البنية الجيولوجية لهذه السلسلة الجبلية، حيث تُعَدُّ هذه السلسلة محدباً وحيد الميل تميل طبقاته الصخرية، بشكل عام، نحو الغرب بزاوية حوالي 10 درجات. ولذلك تتكشف في المناطق الشرقية (قمة الجبال السّاحلية) الصّخور الأقدم عمراً والتي تعود إلى الدور الجوراسي،

ويتوضع فوقها (نحو الغرب) طبقات الصّخور الأحدث عمراً والتي تعود إلى الدور الكريتاسي.

تتألف صخور الدور الجوراسي من صخور كلسية، وكلسية دولوميتية سميكة التطبق، تتميز في الطبيعة بلونها المزرق، ونظراً إلى قساوتها المرتفعة فهي محطمة نتيجة الحركات التكتونية التي أصابت المنطقة، ومتأثرة بشكل كبير بعمليات الحت الكارستي [14]، مما تسبب بتشكل الكثير من المظاهر الكارستية السَّطْحية وتحت السطحية، والتي تسبب وجودها بحدوث عمليات ابتلاع كثيرة للمياه الجارية السَّطْحية فوق هذه الصخور. يليها نحو الغرب (أي يتوضع فوقها) وبعدم توافق طبقات دور الكريتاسي بشكل طبقات مختلفة السماكة، والمؤلفة من صخور كلسية، وكلسية دولوميتية مع المارن وبعض العقيدات الصوانية [7].

ويمكن تقسيم الطبقات العائدة للدور الكريتاسي في المنطقة المدروسة إلى طبقات تعود إلى عصر الكريتاسي الأسفل وتتألف من طبقات الأبسيان (تشكيلة باب جنة)، والألبيان (تشكيلة البلاطة). أما طبقات عصر الكريتاسي الأعلى فتقسم إلى السينومانيان (تشكيلة صلنفة، وتشكيلة الحنفية)، والتورونيان، والكونياسيان، والسانتونيان، والكمبانيان، والماسترختيان [7].

بالإضافة لذلك تغطي بعض القمم الجبلة في المنطقة صخور بركانية بازلتية تعود لفترة النشاط البركاني النيوجيني (البليوسين)، حيث تتألف هذه الصخور البركانية غالباً من كتل متفرقة من الصبات البازلتية التي قطعتها وفصلتها عن بعضها الأودية النهرية، بالإضافة لذلك فإنّ بعض القمم المرتفعة من هذه الجبال البازلتية هي عبارة عن قصبات بركانية [15].

**2- دراسة حقلية لمواقع وجود مقتطعات تحت السَّطْح في مجرى نهر الحصين:** يمكن تقسيم الشبكة الهيدرولوجية في حوض نهر الحصين إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي نهر قيس، ونهر البلوطة، حيث يتشكل من التقائهما نهر الحصين (شكل 3). وسوف نستعرض فيما يلي مقتطعات تحت السَّطْح التي قمنا بتحديدها ودراستها في كل مجرى من هذه المجاري النهرية الثلاثة. ومن الجدير بالذكر أن الدراسة والمراقبة تمت خلال

أشهر (تموز، آب، وأيلول) من العام 2022 م، حيث تم اختيار هذه الفترة الزمنية من السنة لأن الجريان السَّطْحي يكون في أخفض مراحله، وبالتالي يصبح من الممكن تتبع جريان المياه ومشاهدة اختفائها تحت سطح الأرض وعودتها للظهور في مكان آخر. أما أثناء الجريان الغزير للنهر فلا يمكن تعقب ومشاهدة هذه الظاهرة. كما ان هذه الدراسة تعتمد على المشاهدات والملاحظات الحقلية دون استخدام أجهزة قياس غزارة المياه لعدم توفرها لدى الجهة القائمة بالدراسة.

آ- **مقتطاعات تحت السَّطْح في مجرى نهر قيس:** تم نتيجة المراقبة والدراسة التي قمنا بها تحديد ثلاث مناطق يوجد بها مقتطع تحت السَّطْح، وهي:

**1- مقتطع تحت السَّطْح الأول:** يبدأ الجريان السَّطْحي لنهر قيس خلال فصل الصيف بواسطة المياه التي تخرج من مغارة بيت الوادي وذلك بعد أن يتم ضخ قسم منها لاستخدامه في إمداد بعض القرى المجاورة بالمياه. تجري المياه فوق سطح الأرض إلى الغرب من مغارة بيت الوادي لمسافة حوالي 1500 متر عبر وادي الكدانة، وبعد ذلك يتم ابتلاعها بعد وصولها إلى وادي عين الفارة (″34°.56′.47 N، ″36°.11′.22 E). وبالتالي تعد هذه المنطقة بداية مقتطع تحت السَّطْح الأول (شكل 4).

**الشكل رقم 4: صورة جوية توضح موقع مغارة بيت الواي ومنطقة ابتلاع المياه في وادي عين الفارة [13].**

تختفي المياه تحت سطح الأرض لمسافة حوالي 5500 متر (وهو امتداد المجرى الباطني لهذا المقتطع)، لتعود إلى الظهور فوق سطح الأرض من جديد في نبع الدلبة

(″34°.55′.17 N، ″36°.09′.29 E)، وذلك بعد أن تجتاز المنعطفات النهرية إلى الغرب من قرية بمحصر. ومن الملاحظ أن غزارة المياه التي تخرج من هذا النبع هي أكبر من غزارة المياه التي يتم ابتلاعها في بداية هذا المقتطع مما يشير إلى وجود روافد مائية وينابيع تحت سطحية (نقترح إجراء قياسات دقيقة لتأكيد ذلك). وبعد نبع الدلبة تستمر المياه بالجريان فوق سطح الأرض حتى بحيرة سد الدريكيش. وبذلك ينتهي مقتطع تحت السَّطْح الأول ليكون فرق ارتفاع مقداره 117 متر بين منطقة بدايته (448 م) ومنطقة نهايته (331 م). ومن الجدير بالذكر أن تدفق نبع اللبوة الذي يقع إلى الشرق من نبع الدلبة بحوالي 200 متر، بشكل نافورة غزيرة مؤقتة تستمر لبضعة أيام خلال فصل الشتاء قد يرتبط مع وجود المجرى الباطني لمقتطع تحت السَّطْح في هذه المنطقة. كما لا حظنا بأن تشكل نبع الدلبة الدائم الجريان يرتبط من ناحية البنية الجيولوجية مع وجود نهوض بسيط للطبقات الصخرية العائدة لطابق الألبيان إلى الغرب من هذا النبع (انقلاب في اتجاه ميل الطبقات)، أي هناك طية مقعرة محلية قليلة الوضوح في هذه المنطقة، وبالتالي يقوم الجناح الغربي لهذه الطية بدور الحاجز الذي يعترض حركة المياه الجوفية القادمة من جهة الشرق (شكل 5).

**الشكل رقم 5: صورة توضح نهوض طبقات طابق الألبيان إلى الغرب من نبع الدلبة في وادي نهر قيس.**

تغذي المياه التي تخرج من نبع الدلبة بحيرة سد الدريكيش، أما إلى الغرب من سد الدريكيش فلقد تأثر الجريان النهري بشكل كبير خلال فصل الصيف في هذه المنطقة بالمياه التي يسمح لها بالخروج من بحيرة هذا السد. لأن الجريان النهري في هذه المنطقة قبل إنشاء السد كان يتعلق بكمية المياه التي تخرج من نبع الدلبة، ولكن وبعد إنشاء السد وتخزين المياه في البحيرة أخذ الجريان السَّطْحي إلى الغرب من موقع السد يتعلق بكمية المياه التي يسمح لها بالخروج من بحيرة السد، حيث كانت نتيجة ذلك زيادة الجريان السَّطْحي خلال فصل الصيف في هذا القسم من المجرى النهري. ولقد أثر ذلك في وضوح مقتطع تحت السَّطْح الثاني الموجود إلى الغرب من جسر الجنينة. حيث اعتمدنا على تحديد مقتطع تحت السَّطْح في هذه المنطقة بناء على المعطيات والملاحظات التي أفاد بها السكان المحليون قبل إنشاء السد.

**2- مقتطع تحت السَّطْح الثاني:** يمتد هذا المقتطع من منطقة ابتلاع المياه في حفرة تسمى محلياً (غبيط أبو كلاب)، تقع إلى الغرب من الجسر على الطريق إلى جنينة رسلان بمسافة حوالي 750 م (شكل 6)، حيث يبدأ من هناك المجرى الباطني لمقتطع تحت السَّطْح الثاني (″14.′54.°34 N، و ″18 .′06.°36 E) الذي يستمر نحو الغرب لمسافة حوالي 1300 م، لينتهي في نبع الهني (″03.′54.°34 N، ″29 .′05.°36 E) الذي كان يتدفق بشكل نافورة تحرك كمية من حبيبات الرمل المحيطة بها، وذلك داخل مغارة تنتهي بنفق كارستي قادم من جهة الشرق (تم حالياً إغلاق باب المغارة بسبب استثمار مياه النبع)، بالإضافة إلى ذلك فلقد لاحظنا أن نبع البارد الموجود في سرير نهر قيس بالقرب من نبع الهني هوا أيضاً منطقة إعادة تدفق لمياه هذا المقتطع تحت السَّطْح (شكل 6). وبذلك يكون فرق الارتفاع مقداره 10 متر بين منطقة بداية (235 م) ومنطقة نهاية هذا المقتطع (225 م).

أما من ناحية البنية الجيولوجية فلقد لاحظنا أن سوية بازلت الألبيان الممتدة على جوانب الوادي النهري إلى الشرق من هذه المنطقة، تختفي تحت سطح الأرض إلى الشرق من منطقة الابتلاع (عند الجسر على طريق جنينة رسلان) لتعود للظهور مرة ثانية إلى الغرب من نبع الهني (حدود سوية البازلت في هذه المنطقة غير مرسومة بشكل دقيق

على الخريطة الجيولوجية لرقعة صافيتا). وبالتالي فهناك طية مقعرة محلية (خفيفة الوضوح) في هذا المنطقة تسبب ميول أجنحتها تشكل مقتطع تحت السَّطْح الثاني الصغير الامتداد في هذه المنطقة من الوادي النهري وذلك بشكل مشابه لما حدث في الحالة السابقة (تشكل نبع الدلبة).

**الشكل 6: صورة توضح منطقة امتداد مقتطع تحت السَّطْح الثاني (يشير الخط الأبيض إلى مسار النهر) [13].**

**3- مقتطع تحت السَّطْح الثالث:** تمت مشاهدة الجريان النهري الغزير نسبياً عند مقصف أبو سمرة، ولكن هذا الجريان الغزير يتناقص تدريجياً بالاتجاه نحو الغرب حتى الوصول إلى القرب من قرية سنديانة بقعو حيث قدرنا بقاء نصف الغزارة السابقة. أما إلى الغرب من سنديانة بقعو فلاحظنا تناقص الغزارة بشكل تدريجي حتى الوصول إلى منطقة يتم فيها ابتلاع المياه بشكل كلي (″15.′55°34 N، ″56 .′02°36 E). وبعد ذلك يصبح المجرى النهري جافاً لمسافة حوالي 5200 متر (بشكل مستقيم دون احتساب التعرجات النهرية) مع العلم أنه تكثر الأكواع النهرية في هذا القسم من المجرى النهري وبالتالي يصبح تحديد طول المجرى الباطني أمراً صعباً (شكل 7).

تعود مياه النهر للجريان من جديد في نبع عين الزرقا (″20.′56°34 N، ″48 .′59°35 E) (شكل 8)، وبغزارة مكافئة تقريباً لتلك التي كانت مقابل مقهى أبو سمرة. حيث يلاحظ بداية ظهور المياه في المجرى النهري بشكل نافورة صغيرة تتدفق من بين الحجارة في سرير النهر إلى الشرق من نبع عين الزرقا بحوالي 100 متر. وبذلك ينتهي مقتطع تحت السَّطْح الثالث ليكون فرق ارتفاع مقداره 57 متر بين منطقة بدايته

(177 م) ومنطقة نهايته (120 م). وبعد ذلك يستمر الجريان نحو الغرب حيث يتلقى المجرى النهري كميات إضافية من الماء من ينابيع الجكرى، ثم يلتقي مع نهر البلوطة في نقطة الملتقى حيث يتشكل من التقائهما المجرى المائي المعروف محلياً باسم نهر الحصين (شكل 8). ويمكن تفسير عودة المياه للتدفق فوق سطح الأرض وتشكل مقتطع تحت السطح في هذه المنطقة بتقاطع مسار النفق الكارستي الباطني للمقتطع مع الوادي النهري مما تسبب بتدفق المياه فوق سطح الأرض وتشكل ينابيع عين الزرقا المتجاورة.

**الشكل رقم 7: صورة توضح مكان وجود منطقة الابتلاع وبداية تشكل مقتطع تحت السَّطْح الثالث في مجرى نهر قيس (يشير الخط الأبيض إلى مسار النهر) [13].**

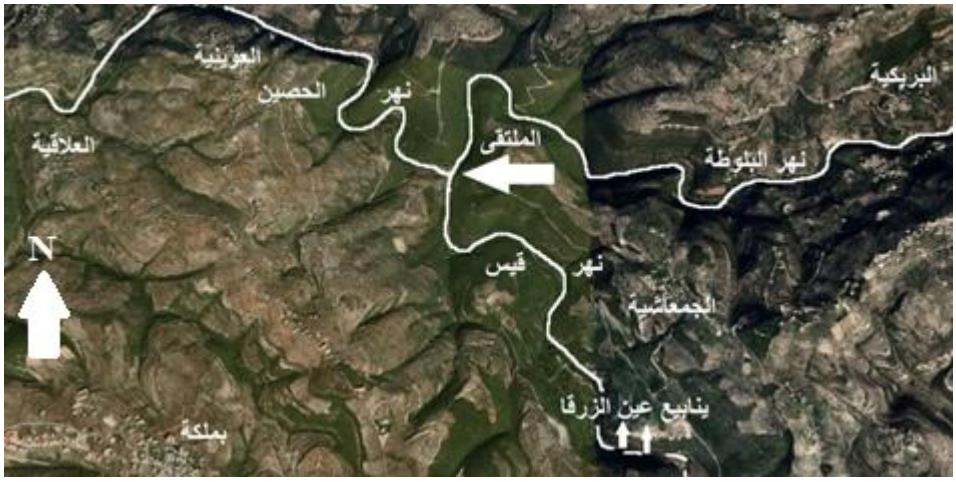


**الشكل رقم 8: صورة توضح منطقة وجود ينابيع عين الزرقا وعودة المياه للجريان في نهر قيس، ومنطقة الملتقى حيث يتشكل نهر الحصين نتيجة التقاء نهر قيس مع نهر البلوطة [13].**

ومن الملاحظات الحقلية التي تم تسجيلها وجود حجارة نهرية سوداء (قطع من البازلت) شبه مستديرة بحجم حوالي 5 سم في نبع عين الزرقا مما يشير إلى نقلها مع المياه داخل النفق تحت السطحي وخروجها إلى السَّطْح مع المياه من جديد في هذا النبع. كما أن وجود نبع الفوار إلى الشرق من ينابيع عين الزرقا وتدفقه بشكل نافورة موسمية تخرج من الشبكة المائية الكارستية الضمنية [10]، يؤكد وجود المجرى الباطني لمقتطع تحت السَّطْح في هذه المنطقة، وأن تدفق مياه النافورة يتم بسبب امتلاء الوعاء الكارستي في الأسفل.

وطالما أن مجرى نهر قيس يجري من الشرق إلى الغرب فوق الطبقات الصخرية العائدة لطابق الألبيان التي تميل بشكل عام نحو الغرب (تشكيلة البلاطة). فيمكن تصنيفه أنه من نمط الأودية النهرية التابعة التي يتوافق فيها ميل الطبقات الصخرية مع الانحدار الطبوغرافي العام للمجرى النهري [6].

**ب- مقتطعات تحت السَّطْح في مجرى نهر البلوطة:** لقد بدأنا بمراقبة جريان هذا النهر اعتباراً من موقع جسر الكازية الموجود شرق وادي العيون، حيث كانت المياه قادمة من وادي عين علي (من جهة قرية بيت الوادي)، في حين كان الرافد النهري القادم من وادي نبع عيس جافاً. ولقد قدرنا غزارة الجريان في هذا المكان بحوالي 5 أنش. ولقد تم نتيجة هذه المراقبة تحديد ثلاث مقتطعات تحت السَّطْح في هذا المجرى النهري، وهي:

**1- مقتطع تحت السَّطْح الأول:** يمتد هذا المقتطع في النصف الشرقي من بلدة وادي العيون، حيث، تستمر المياه بالجريان إلى الغرب من جسر الكازية لمسافة حوالي 160 متر (شكل 9)، لتختفي هناك في منطقة الابتلاع التي تشكل بداية مقتطع تحت السَّطْح (N 35°.00′.08″ ،E 36°.12′. 28″).

**الشكل رقم 9: صورة توضح بداية مقتطع تحت السَّطْح الأول في منطقة الابتلاع وذلك مقابل مفرق قرية الكاملية إلى الشرق من بلدة وادي العيون [13].**

تختفي المياه تحت سطح الأرض اعتباراً من النقطة السابقة ولمسافة حوالي 2500 متر (وهو امتداد المجرى الباطني)، لتعود للظهور من جديد في وسط بلدة وادي العيون (N 34°. 59′. 46″، E 36°. 11′. 02″)، وتحديداً إلى الغرب من جسر بيت الهندي بحوالي 250 متر (شكل 10). حيث يوجد تضيق عميق في الوادي النهري يترافق مع تزايد انحدار سرير النهر بشكل شديد. وفي هذا المكان تعود المياه للتدفق والجريان السَّطْحي من جديد وبغزارة مكافئة لما كانت عليه قبل منطقة الابتلاع (حوالي 5 أنش)، وبذلك ينتهي مقتطع تحت السَّطْح الأول ليكون فرق ارتفاع مقداره 33 متر بين منطقة بدايته (493 م) ومنطقة نهايته (460 م).

**الشكل رقم 10: صورة جوية توضح نهاية مقتطع تحت السَّطْح الأول إلى الغرب من جسر بيت الهندي، ومكان وجود صخرة الفحصة حيث يتم ابتلاع المياه من جديد وبداية مقتطع تحت السَّطْح الثاني [13].**

ولقد فسرنا تشكل مقتطع تحت السَّطْح في هذه المنطقة بناء على البنية الجيولوجية بحدوث ابتلاع وجريان المياه داخل التكهفات الكارستية الموجودة في طبقات الجوراسي الأوسط، حتى تعود هذه الطبقات للظهور على السَّطْح من جديد في منطقة إعادة التدفق، أي أن منطقة امتداد مقتطع تحت السَّطْح (منطقة جفاف المجرى النهري) ترتبط بشكل رئيسي بوجود تكشف لطبقات الجوراسي الأعلى (شكل 11).

**2- مقتطع تحت السَّطْح الثاني:** تجري المياه فوق سطح الأرض نحو الغرب بعد عودتها للتدفق من نهاية المقتطع الأول مسافة حوالي 940 متر، حيث تتلقى مياه إضافية من عدة ينابيع صغيرة تخرج من شقوق طبقات الجوراسي الأوسط وخاصة على الجهة الجنوبية من الوادي النهري، وعندما تصل المياه إلى منطقة تسمى صخرة الفحصة غرب مقصف الأكرم (″41 .′59 .°34 N، ″31 .′10 .°36 E)، يتم ابتلاع المياه في هذه المنطقة من جديد ليبدأ مقتطع تحت السَّطْح الثاني (شكل 10).

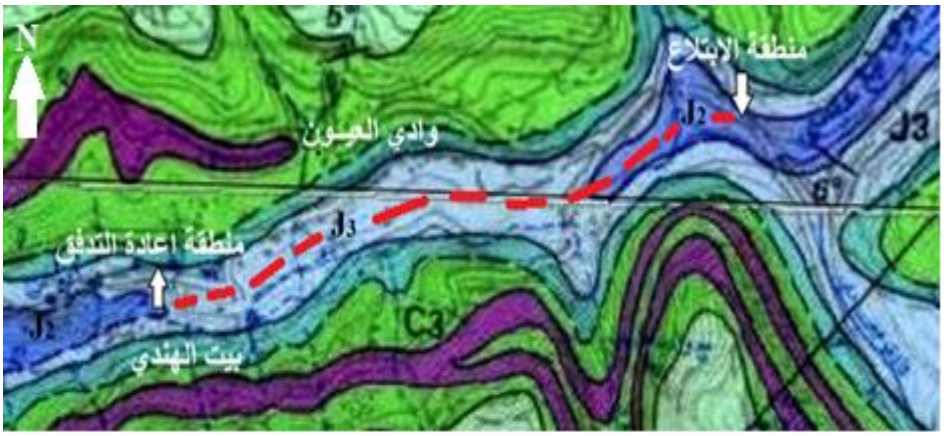


**الشكل رقم 11: صورة لقسم من الخريطة الجيولوجية لرقعتي صافيتا والقدموس توضح امتداد مقتطع تحت السَّطْح الأول (يشير الخط الأحمر المتقطع إلى امتداد المجرى الباطني) حيث تحدث عملية ابتلاع المياه وعودتها للتدفق خلال طبقات الجوراسي الأوسط [7].**

نشاهد في صخرة الفحصة تكشف لطبقة من الكلس القاسي سماكتها حوالي النصف متر تمتد مسافة حوالي 10 أمتار، وعندما تصل المياه القادمة من الشرق إلى الفاصل الطبقي الموجود تحت هذه الصخرة فإنّها تملأ هذا التجويف وتصبح مياه ساكنة لتختفي بداخله (شكل 12). كما يوجد إلى الغرب من هذه لصخرة منطقة منخفضة مملوءة بالمياه الساكنة (شكل 13)، مما يشير أنها فتحة سينوتي متصلة مع نفق تصريف المياه في الأسفل [15]. وبعد هذه الحفرة يصبح المجرى النهري نحو الغرب جافاً (شكل 13)، ولا تعود المياه العذبة للظهور مرة ثانية حتى قرية الديرون.

تختفي المياه العذبة تحت الأرض اعتباراً من صخرة الفحصة في الشرق وحتى الطرف الشرق لقرية الديرون في الغرب (شكل 15، و 16)، أي لمسافة حوالي 3360 متر (وهي مسافة امتداد المجرى الباطني). حيث تعود المياه العذبة للظهور في السرير النهري إلى الشرق من قرية الديرون بحوالي 100 م، وبذلك يكون قد انتهى مقتطع تحت السَّطْح الثاني، ليكون فرق ارتفاع مقداره 32 م، بين منطقة بدايته (418 م) ومنطقة نهايته (386 م).

**الشكل رقم 12: صورة باتجاه الشرق توضح صخرة الفحصة حيث تختفي المياه القادمة من الشرق تحت إحدى طبقات الجوراسي الأوسط.**

**الشكل رقم 13: حفرة مملوءة بالمياه الساكنة مما يشير إلى وجود سينوتي إلى الغرب من صخرة الفحصة، كما نشاهد جفاف النهر إلى الغرب من هذه الحفرة.**

ومن الجدير بالذكر أنه تمت الإشارة في الفقرة السابقة لاختفاء وعودة المياه العذبة للظهور، وذلك تمييزاً لحالة خاصة موجودة في منطقة وجود هذا المقتطع وهي أنه إلى الغرب من صخرة الفحصة بحوالي 650 متر يعود الجريان السَّطْحي في سرير النهر، ولكن هذه المرة بسبب المياه التي تتدفق من أنبوب الصرف الصحي القادم من جهة الشرق، حيث تجري هذه المياه لمسافة حوالي 800 متر فوق سطح الأرض، وبعد ذلك يجف المجرى النهري من جديد وتختفي مياه الصرف الصحي لمسافة حوالي 650 متر، لتعود مرة ثانية للظهور والجريان في سرير النهر وتملأ الحفر الوعائية بالمياه الشديدة التلوث وذات الرائحة الكريهة، وتستمر هذه المياه الملوثة بعد ظهورها للمرة الثانية بالجريان في سرير النهر لمسافة حوالي 700 متر (شكل 16)، لتصل إلى منطقة تسمى

صخرة النطة (″34°.59′.06 N، ″36°.09′.00 E)، والتي هي شق عميق في جدار صخري سميك وقاسي يعود بعمره للجوراسي الأوسط يمتد حوالي 25 م، تملأ مياه الصرف الصحي الساكنة هذا الشق حيث يتم ابتلاعها ويصبح المجرى النهري جافاً نحو الغرب لمسافة حوالي 500 متر (الشكلان 14، و 15). أي أن مياه الصرف الصحي القادمة من وادي العيون يتم ابتلاعها في منطقة صخرة النطة بشكل كامل. إن ما يحصل في هذه المنطقة من ابتلاع لمياه الصرف الصحي داخل التجاويف الكارستية (صخرة النطة)، وحدوث ذلك إلى الشرق من نبع الديرون بمسافة حوالي 1200 متر، والذي تضخ مياهه للاستخدام المنزلي هي مشكلة بيئية يجب معالجتها.

**الشكل رقم 14: صورة لصخرة النطة حيث تأتي مياه الصرف الصحي من جهة الشرق ليتم ابتلاعها في هذا الشق ويصبح المجرى النهري جافاً إلى الغرب منها.**

**الشكل رقم 15: صورة توضح موقع وجود صخرة النطة حيث يتم ابتلاع مياه الصرف الصحي، وقربها من نبع الديرون حيث يتم ضخ المياه للاستخدام المنزلي (المسافة الفاصلة 1200 م) [13].**

يمتد مقتطع تحت السَّطْح الثاني من ناحية البنية الجيولوجية ضمن طبقات الجوراسي الأوسط، ولقد فسرنا عودة المياه للتدفق وتشكل نبع الديرون بعودة طبقات الجوراسي الأوسط للارتفاع إلى الغرب من الديرون حيث ينتهي تكشف هذه الطبقات في موقع إنشاء سد البلوطة. أي أن أقدم تكشف لطبقات الجوراسي الأوسط موجود في موقع نبع الديرون (شكل 16).

تعود المياه للظهور مقابل المقاصف الموجودة في الطرف الشرقي لقرية الديرون (شكل 15)، حيث تظهر المياه بشكل قليل بين الحجارة، ثم تملأ المياه الساكنة سرير النهر لمسافة حوالي 100 م (تقاطع المستوى الستاتيكي للمياه مع السَّطْح الطبوغرافي)، وبعد ذلك ومع انحدار المجرى النهري نحو الغرب تأخذ المياه بالجريان بشكل واضح. يضاف إليها بعد ذلك المياه القادمة من نبع الديرون، ويستمر الجريان السَّطْحي عبر سرير النهر نحو الغرب لمسافة حوالي 5000 متر، ليجتاز منطقة بناء السد على نهر البلوطة، ويصل إلى الجهة الشرقية من جسر جوعيت حيث يتم ابتلاع المياه بشكل كامل مما يعني بداية مقتطع تحت السَّطْح جديد. وفي هذه المنطقة (إلى الغرب من نبع الديرون) تنتقل المياه من الجريان فوق طبقات الجوراسي الأوسط، إلى الجريان فوق طبقات الجوراسي الأعلى، ثم الكريتاسي الأسفل، وذلك مع استمرار الاتجاه نحو الغرب حتى جسر جوعيت (شكل 16).

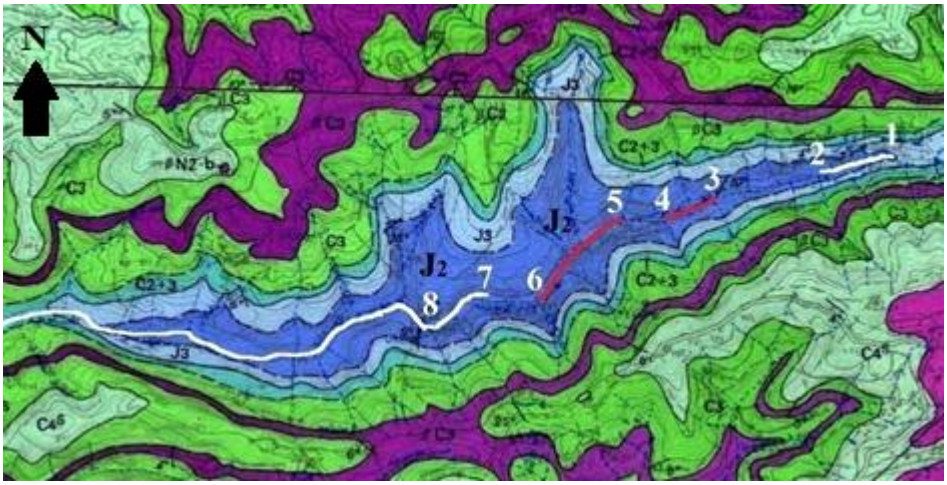


**الشكل رقم 16: صورة لقسم من الخريطة الجيولوجية لرقعة صافيتا توضح علاقة الجريان السَّطْحي والباطني مع البنية الجيولوجية في وادي العيون: 1- عودة التدفق ونهاية المقتطع الأول، 2- منطقة الابتلاع في صخرة الفحصة وبداية المقتطع الثاني، 3- بداية جريان الصرف الصحي، 4- جفاف الجريان الأول للصرف الصحي، 5- عودة الصرف الصحي للجريان السَّطْحي، 6- جفاف الجريان الثاني للصرف الصحي في صخرة النطة، 7- عودة المياه العذبة للجريان ونهاية المقتطع الثاني، 8- نبع الديرون حيث يتم ضخ المياه للمنازل، واستمرار الجريان السَّطْحي إلى الغرب منه حتى جسر جوعيت (الخط الأبيض) [7].**

**3- مقتطع تحت السَّطْح الثالث:** يمتد هذا المقتطع لمسافة حوالي 1200 متر، وذلك اعتباراً من الجهة الشرقية لجسر جوعيت (″39 .′58 °34 N، ″36 .′05 °36 E)، حيث يتم ابتلاع المياه تحت إحدى أشجار الدلب الموجودة على الجهة الجنوبية من النهر (شكل 17، A). أما إلى الغرب من جسر جوعيت فإنّ المجرى النهري يصبح جافاً (شكل 17، B). ولكن تعود المياه للظهور ثانية في نبع الدلب ونبع الدلال الموجودين في الوادي النهري إلى الغرب من جوعيت (شكل 18). حيث تعود المياه للظهور بشكل ارتشاحات وحفر صغيرة مملوءة بالمياه، وبعد ذلك تملأ المياه الساكنة المجرى النهري (تقاطع المستوى الستاتيكي للمياه مع السَّطْح الطبوغرافي)، ومع الذهاب غرباً تأخذ المياه بالجريان بشكل واضح عند مقصف نبع الدلال (مثل ما يحدث في النهاية الشرقية لقرية الديرون). ويرتبط مع منطقة إعادة التدفق وظهور المياه هنا بداية وجود المنتزهات على جانبي

النهر. وبذلك ينتهي مقتطع تحت السَّطْح الثالث ليكون فرق الارتفاع مقداره 16 متر بين منطقة بدايته (280 م) ومنطقة نهايته (264 م). وإحداثيات منطقة إعادة التدفق هي (N 34°.58′. 26″، E 36°.05′. 07″). أما الوادي القادم من جهة قرية سريجس فهو جاف في هذه الفترة من السنة.

**الشكل رقم 17: صورة للجهة الشرقية من جسر جوعيت حيث نشاهد المياه الساكنة وشجرة الدلب التي تختفي المياه تحتها على يمين الصورة (A)، وصورة إلى الغرب من جسر جوعيت حيث يصبح المجرى النهري جافاً. الصور بتاريخ 2022/9/12 م (B).**

ومن الجدير بالذكر أن المراقبة التي قمنا بها لجريان النهر عند جسر جوعيت بتاريخ 2022/8/6 م، بينت استمرار الجريان السَّطْحي للنهر في هذه المنطقة ولكن بغزارة ضعيفة (حوالي 10 أنش)، وبالتالي فإنّ هذه المياه كانت فائضة عن الطاقة الاستيعابية لمنطقة الابتلاع الموجودة بالقرب من الجسر من جهة الشرق، وكان تحديد وجود المقتطع في هذه المنطقة يتطلب الانتظار حتى تناقص الغزارة التي تم رصدها بتاريخ 2022/9/12 م.

**الشكل رقم 18: صورة لمنطقة امتداد مقتطع تحت السَّطْح الثالث بين جسر جوعيت في الشرق، وحتى نبع الدلب ونبع الدلال في الغرب [13].**

يستمر الجريان السَّطْحي لنهر البلوطة اعتباراً من منطقة إعادة التدفق السابقة وبغزارة تصل إلى 15 أنش، وتزداد الغزارة كلما اتجهنا غرباً وذلك نتيجة تلقيه مياه الينابيع العديدة الموجودة على امتداد الوادي النهري، وخاصة إلى الغرب من حفرة تغذية مملوءة بالمياه تسمى محلياً (البغلة) موجودة إلى الغرب من قرية كفرية الشرقية، حيث نعتقد بأنها متصلة مع نفق باطني يغذيها بالمياه. ويستمر النهر بالجريان بغزارة جيدة حتى الوصول إلى نقطة الملتقى مع نهر قيس (شكل 8)، أي لمسافة حوالي 11.250 متر، دون ملاحظة وجود تغير في الغزارة، مما يعني عدم وجود مقتطع تحت السَّطْح ضمن هذه المسافة.

أما من ناحية البنية الجيولوجية فإنّ مقتطع تحت السَّطْح الثالث، ومنطقة استمرار الجريان السَّطْحي إلى الغرب منه حتى ملتقى نهر البلوطة مع نهر قيس يقعان داخل طبقات طابق الألبيان (تشكيلة البلاطة).

**ج- مقتطع تحت السَّطْح في القسم السفلي من مجرى نهر الحصين:** يستمر الجريان السَّطْحي الغزير نسبياً في الطرف الشرقي لهذا القسم من المجرى النهري (أي إلى الغرب من نقطة الملتقى) لمسافة حوالي 4800 متر (مع احتساب التعرجات النهري). ولكن

يلاحظ تناقص الغزارة بشكل تدريجي إلى الغرب من جسر عورو، حتى الوصول إلى نقطة الابتلاع (″39 .′57 .°34 N، ″58 .′56 .°35 E)، حيث يتم ابتلاع المياه (شكل 19). وبذلك تعد هذه النقطة بداية تشكل مقتطع تحت السطح في هذه المنطقة.

**الشكل رقم 19: صورة جوية توضح منطقة الابتلاع وبداية مقتطع تحت السَّطْح إلى الغرب من قرية عورو [13].**

ومن الجدير بالذكر أن الجريان السَّطْحي في هذا القسم من المجرى النهري قد تأثر بشكل كبير بالمياه القادمة من سد الدريكيش، أما في الفترة الزمنية السابقة فكانت المياه تصل فقط إلى إحدى الحفر التي تسمى البغلة (شكل 19)، حيث كانت تتجمع الأسماك في هذه الحفرة التي نفسر وجودها بأنها فتحة سينوتي متصلة مع النفق الباطني في الأسفل.

أما إلى الغرب من منطقة الابتلاع السابقة فإنّ المجرى النهري يصبح جافاً. ولا تعود المياه للظهور ثانية حتى الوصول إلى نبع أبو نوح الذي تبدأ مياهه بالظهور تحت الجسر على طريق اللاذقية القديم (″38 .′56 .°34 N، ″33 .′53 .°35 E)، ثم تتجمع المياه بشكل مستنقع تملأه المياه الساكنة يمتد لمسافة حوالي 500 متر (تقاطع المنسوب الستاتيكي للمياه مع سطح الأرض)، وبعد ذلك تأخذ المياه بالجريان بشكل واضح إلى الشرق من جسر اوتوستراد اللاذقية الحالي وبغزارة مكافئة تقريباً لما كانت عليه قبل منطقة

الابتلاع عند قرية عورو (شكل 20). وبذلك ينتهي مقتطع تحت السَّطْح الثالث ليكون فرق الارتفاع مقداره 48 متر بين منطقة بدايته (52 م) ومنطقة نهايته (4 م).

**الشكل رقم 20: صورة جوية للقسم الأسفل من نهر الحصين توضح منطقة إعادة التدفق في نبع أبو نوح، ومكان وجود الشلال، وحفر مملوءة بالمياه إلى الشمال من قلعة عبيد، ومكان وجود الثغرتين الجافتين [13].**

أما مسار النفق الباطني تحت هذا القسم من المجرى النهري فمن الصعب توقع مكان وجوده وذلك بسبب وجود الأكواع النهرية الكثيرة، ولكن ظهور المياه الساكنة في الحفر التي نتجت عن عمل الكسارة إلى الشمال من قلعة عبيد يدل على وجود فتحة سينوتي متصلة مع النفق الباطني تحت هذه المنطقة (شكل 20).

**تفسير تضيق الوادي النهري في القسم الأسفل من نهر الحصين:** يلاحظ في القسم الأسفل من وادي نهر قيس (غرب عين الزرقا) ظهور انغلاق لمسار الوادي النهري بشكل غير متوقع (شكل 21)، يرافق ذلك تشكل انعطاف حاد في مسار النهر وظهور تضيق مفاجئ في الوادي النهري (بعرض حوالي 35) بعد أن كان الوادي النهري عريض قبل ذلك، كما يشاهد تشكل مصطبة نهرية ترسيبية قبل بداية التضيق يصل عرضها إلى حوالي إلى حوالي 300 متر (شكل 22). هذا التضيق يستمر على امتداد القسم الأسفل من نهر قيس حتى نقطة الملتقى مع نهر البلوطة (شكل 8)، ثم يستمر على امتداد نهر

الحصين بعد نقطة الملتقى وحتى وصوله قرب منطقة المصب (شكل 20)، كما يترافق ذلك مع تشكل أكواع نهرية متعمقة (أو مقيدة). ولقد تم محاولة وضع تفسير لوجود هذا التضيق من خلال حركة الطبقات الصخرية التي تسبب بها فالق عورو [10].

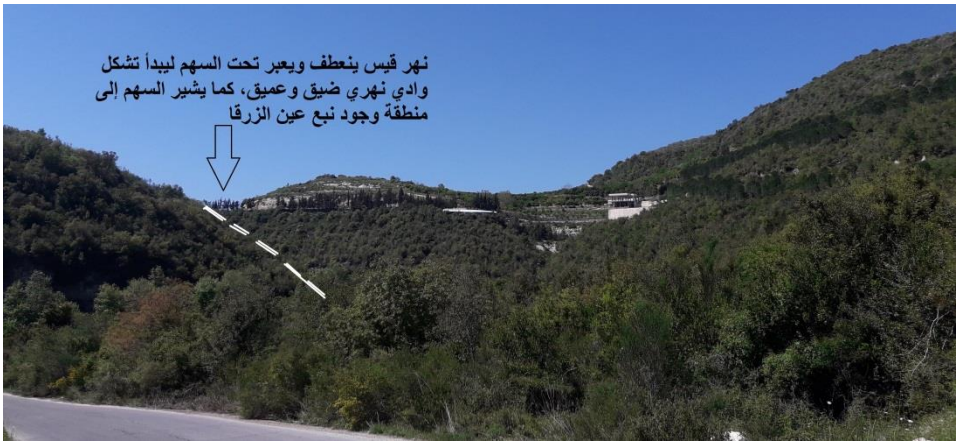


**الشكل رقم 21: صورة توضح انغلاق وادي نهر قيس بشكل مفاجئ نحو الغرب قبل انعطافه نحو اليسار وتشكل نبع عين الزرقا (تم رسم الخط الأبيض لإيضاح سفح الجبل)**

ولكننا نرى أن ظهور هذا التضيق المفاجئ في القسم الأسفل من وادي نهر قيس يمكن تفسيره من خلال وجود مقتطع تحت السطح في هذه المنطقة، فالجريان النهري في هذا الوادي الضيق كان سابقاً بشكل جريان ضمني داخل مقتطع تحت السطح، وكانت طبقة سميكة وقاسية من الصخور الكلسية تشكل سقف المجرى الباطني لهذه المقتطع. ولقد تسببت عمليات الحت بانهيار سقف هذا المجرى الباطني، وهو ما أدى بدوره إلى تعمق الوادي النهري بشكل مفاجئ. لذلك نشاهد حالياً كتلاً صخرية كبيرة في سرير النهر في هذا الجزء [10]، هي في الواقع بقايا تلك الطبقة القاسية التي كانت تشكل سقف المقتطع، كما نلاحظ أن أطراف (أو نهايات) الجدار الصخري القريب من سرير النهر تبدو محطمة ومهشمة نتيجة استمرار حدوث الانهيارات الصخرية لهذه الطبقة مع استمرار تعمق الوادي النهري. لذلك نشاهد حالياً استمرار جريان النهر في هذا القسم من الوادي النهري ولكن بدون وجود للسقف.

**الشكل رقم 22: صورة إلى الشرق من الصورة السابقة توضح تشكل وادي نهري عريض ومصطبة نهرية ترسيبية**

إن وجود مقتطع تحت السطح في هذه المنطقة وحدوث امتصاص وفقدان لمياه النهر داخل الأرض وما يرافق ذلك من ظهور تضيق في الوادي النهري يمكن تأكيد حدوثه من خلال إحدى قواعد الجيومورفولوجيا التطبيقة والتي تنص (إن وديان الأنهار التي يتم امتصاص مياهها السطحية امتصاصاً كاملاً من قبل الصخور الكلسية نجدها تصبح في بعض الأحيان عبارة عن ممرات مائية ضيقة لمسافة عدة كيلومترات) [16]. كما يمكن تفسير تشكل المصطبة النهرية قبل ظهور التضيق في الوادي النهري (شكل 22) من خلال فقدان مياه النهر نتيجة دخولها تحت سطح الأرض عبر منطقة المقتطع، مما يؤدي لتشكل مستوى أساس محلي حول منطقة ابتلاع المياه، وترسب المجلوبات النهرية بشكل مصطبة نهرية نتيجة فقدان الوسط الناقل.

بالإضافة لذلك تكثر في هذا القسم الأسفل من مجرى نهر الحصين المغاور الكارستية التي يمكن تقسيمها إلى نوعين مختلفين من ناحية اتجاه حركة المياه عبرها. فعلى الجوانب المرتفعة من الوادي النهري يوجد عدد كبير من المغاور الصغيرة الامتداد نحو الداخل، والتي كانت المياه تتسرب خلالها إلى المجرى النهري في الوسط والأسفل، وبالتالي فهي مغاور خروج مياه. أما النوع الثاني من المغاور فهو يقع حالياً في سرير النهر الحالي (وعلى جوانبه)، حيث يتم خلالها ابتلاع قسم كبير من مياه النهر أثناء جريانه، وبالتالي فهي تؤثر بشكل كبير على الجريان السطحي للنهر (مثل مغارة الطبول

إلى الغرب من الملتقى، والمغاور عند الكسارة الموجودة في الوادي النهري عند قلعة العبد)، حيث يبدو مدخل هذه المغاور بشكل قمع يمتد نحو الداخل والأسفل (شكل 23). وتسبب ابتلاع المياه في هذا النوع من المغاور بفقدان مياه النهر (أو قسم كبير منها) مما تسبب بتشكل مستوى أساس محلي وتكدس المواد الحطامية التي كانت تنقلها المياه بشكل مصطبة نهرية محلية صغيرة بالقرب من باب المغارة (شكل 23). بالإضافة لذلك فإنّ الفجوة التضاريسية إلى الجنوب من قلعة عبيد وكذلك جنوب مرتفع الرويحات (حيث يعبر الطريق حالياً)، يمكن اعتبارهما ثغرة جافة كان يجري من خلالها النهر سابقاً، أي أن هناك حوادث أسر نهري كانت قد رافقت تشكل المنعطفات النهرية المتعمقة في هذه المنطقة (شكل 20).

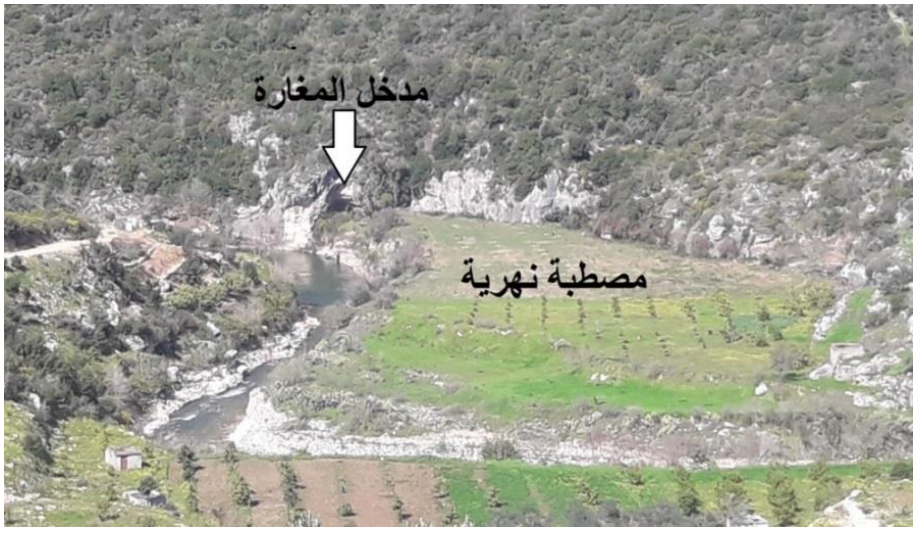


**الشكل رقم 23: صورة توضح مدخل إحدى مغاور الابتلاع مقابل قلعة عبيد وتشكل مصطبة نهرية نتيجة ابتلاع المياه في المغارة.**

يمكن بناء على القاعدة السابقة في الجيومورفولوجيا التطبيقة [16] تفسير وجود التضيقات في أماكن عديدة من الأودية النهرية المحلية. ففي القسم الأسفل من وادي نهر الغمقة (إلى الغرب من قرية بيت الخطيب)، نشاهد وجود تضيق في الوادي النهري وتشكّلُ أكواعاً نهريةً مقيدة (أو متعمّقة). وعلى الرغم من تلاقي نهر الغمقة مع نهر الفوار القادم من جهة مدينة الدريكيش، ومع رافد آخر صغير (وادي عين الحاجب) قادم من جهة قرية مرسحين، فإنّ الوادي النهري يصبح ضيقاً إلى الغرب من نقطة التلاقي، ولا

يتناسب اتساعه مع الجريان السطحيِّ لتلكَ الروافد مجتمعةً، مما يشير إلى حدوث امتصاص وفقدان لمياه تلك الأنهار في هذه المنطقة أو قبلها (شكل 24). وهذا ما يؤكِّده وجود منطقة تسمى الفواوير (أو الفوارات) في مجرى نهر الغمقة ومجرى نهر تيشور وذلك إلى الشرق من قرية بيت الخطيب، مما يشير إلى وجود نفق كارستي تحت قاع الوادي في هذه المنطقة يقوم بامتصاص مياه النهر، وهو ما سبَّب تشكُّل مصاطب نهرية ترسيبية حول هذه البواليع. وعند حدوث عملية تخنيق للمياه داخل ذلك النفق؛ تتدفق المياه الفائضة عن طاقته الاستيعابية خلال تلك البواليع؛ وذلك بشكل نوافير مؤقته (شكل 24).

**الشكل رقم 24: صورة توضح مدخل إحدى مغاور الابتلاع مقابل قلعة عبيد وتشكل مصطبة نهرية نتيجة ابتلاع المياه في المغارة.**

كذلك يمكن استكمال القاعدة السابقة في الجيومورفولوجيا التطبيقية كما يلي (في حال حدوث امتصاص للمياه السطحية النهرية من قبل الصخور الكلسية في إحدى المناطق فإنّ ذلك لا يترافق فقط مع ظهور تضيق مفاجئ في الوادي النهري، وإنما قد يترافق أيضاً مع تشكل مستوى أساس محلي وتوضع (أو ترسب) اللحقيات النهرية بشكل مصطبة نهرية حول وقبل منطقة الابتلاع).

إن الأمثلة التي تؤكد ذلك نشاهدها (بالإضافة لما ذكرنا سابقاً، شكل 22، و 23) في موقع آخر من وادي نهر قيس (إلى الغرب من قرية ساعين الشرقية حيث يجتاز النهر

المصطبة مشكلاً ضفيرة نهرية)، وفي مواقع كثيرة أخرى من الأودية النهرية المحلية. ففي القسم الأوسط من وادي نهر الأبرش نشاهد على الخريطة الجيولوجية توضع مصطبة نهرية محلية حول منطقة الابتلاع حيث يبدأ تشكل مقتطع تحت السطح في هذه المنطقة (شكل 25، A) [5]. كما نشاهد مجموعة أخرى من المصاطب المحلية الصغيرة في موقع المرديسة (شكل 25، B)، وفي مجرى نهر الصغير، بالإضافة إلى بعض المصاطب الترسيبية الأخرى في وادي نهر الغمقة.

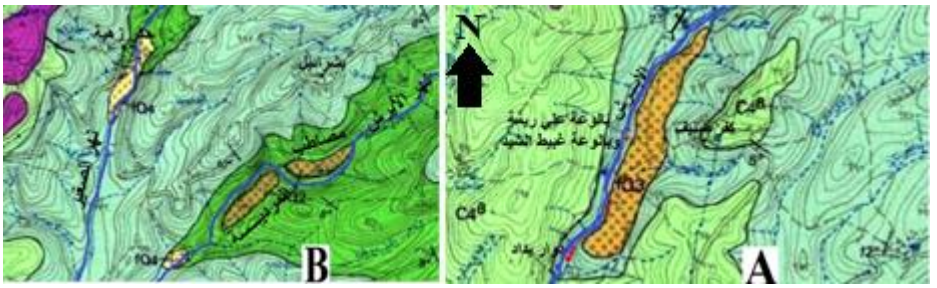


**الشكل رقم 25: صورة لقسم من الخريطة الجيولوجية لرقعة صافيتا توضح تشكل المصطبة النهرية حول منطقة بداية مقتطع تحت السطح في مجرى نهر الأبرش (A)، والمصاطب الصغيرة المحلية في المرديسة ونهر الصغير (B) [7].**

وبالتالي فإنّ تشكل هذا النوع من المصاطب النهرية المحلية لا يرتبط مع تغيرات مستوى الأساس (أو مستوى القاعدة) العام للنهر مما يحتم تصنيفها ودراستها من الناحية الجيومورفولوجية بشكل مستقل، واعتبارها نوع جديد من مستوى القاعدة للأنهار يتشكل نتيجة عملية الأسر الباطني لمياه النهر.

تتواجد البواليع الكارستية في مناطق كثيرة من مجاري الأنهار المحلية، حيث تُؤدي دوراً كبيراً في حدوث تلوّثِ المياه الجوفية. ففي القسم الأوسط من مجرى نهر الغمقة (إلى الشرق من مغارة الشماميس) يحدث ابتلاعٌ لمياه نبع عين الكبيرة إلى الغرب من هذه القرية بحوالي 400 م، حيث تُضَاف هذه المياه في الأسفل إلى المياه التي تغذِّي نبع مغارة الشماميس. ويؤكِّد ذلك التلوث الذي يحدث لمياه النبع المستثمر من هذه المغارة وذلك بواسطة مياه الجفت الناتجة عن معصرة عين الكبيرة، مثل؛ التلوّث بمياه الجفت الذي تعرضت له مياه نبع الشماميس في خريف العام 2022 م.

وكذلك توجدُ بالوعةٌ كارستية في وادي نهر الفوار (الذي يرفد نهر الغمقة)، وذلك إلى الشمال من قرية مشرفة كحلة فَتقومُ بابتلاع مياه الصرف الصحيِّ القادمة من مدينة الدريكيش والقرى المجاورة لها، الأمر الذي يتطلَّب إجراء دراسة مستقلة توضِّح التلوث الذي تتعرضُ له المياه الجوفيَّة إلى الغرب من مكان وجود تلك البالوعة.

**3- الاستنتاجات والتوصيات:**

1- تمكنا نتيجة هذه الدراسة من تحديد وتوصيف مقتطع تحت السطح في سبعة أماكن من مجرى نهر الحصين، وهي تتوزع على الشكل الآتي: ثلاثة منها في مجرى نهر قيس، وثلاثة أخرى في مجرى نهر البلوطة، وواحد فقط في القسم الأسفل من مجرى نهر الحصين.

2- يفسر وجود مقتطع تحت السطح ظاهرة الجريان المتقطع على امتداد نهر الحصين وروافده خلال فصل الصيف، ففي بعض المناطق يكون الجريان غزيراً وواضحاً (المجرى مبتل)، وفي الوقت نفسه يكون المجرى النهري جافاً في مناطق أخرى.

3- تبين هذه الدراسة أن ظاهرة مقتطع تحت السطح من المظاهر الجيومورفولوجية الكارستية الكثيرة الوجود في المجاري النهرية الساحلية، وهو ما يتطلب استمرار إجراء الدراسة على الأودية النهرية الأخرى.

4- يتسبب وجود مقتطع تحت السطح وتحول الجريان السطحي للنهر إلى جريان تحت سطحي، في ضعف غزارة النهر فوق منطقة المقتطع. وهذا ما يتطلب إجراء مراقبة دقيقة لغزارة النهر خلال فصلي الشتاء أو الربيع وذلك لأجل تحديد كميات المياه المفقودة داخل المقتطع وكميات المياه التي تفيض عن طاقته الاستيعابية.

5- يؤدي فقدان مياه النهر (أو قسم كبير منها) في منطقة الابتلاع التي يبدأ بها مقتطع تحت السطح إلى عجز النهر عن حمل المواد الرسوبية التي ينقلها بشكل مفاجئ، وهذا يؤدي بدوره إلى تشكل (أو ظهور) مستوى أساس محلي وتوضع مصطبة نهرية ترسيبية حول منطقة الابتلاع.

6- يمكن تفسير ظهور التضيق الشديد في الوادي النهري إلى الغرب من عين الزرقا (وفي بعض الأودية النهرية الأخرى) بوجود مقتطع تحت السطح في هذه المنطقة وحدوث ابتلاع للمياه النهرية السطحية، وبالتي عجز النهر أن يشكل وادي نهري عريض يتناسب مع تطوره الجيومورفولوجي.

7- نقترح إجراء دراسة تفصيلة عن تأثير وجود هذه المقتطعات على نوعية المياه الجوفية، وخاصة نهاية مجرور الصرف الصحي إلى الشرق من نبع الديرون (وادي العيون)، وكذلك تأثير ابتلاع مياه عين الكبيرة على مشروع مغارة الشماميس (صافيتا)، وعملية ابتلاع مياه الصرف الصحي في البالوعة شمال قرية مشرفة كحلة.

## Reference


1. ABD ALSALAM, A. 1980 – **Geomorphology**. Almatpah Aljadedh, Damascus, Syria, 606 P. (In Arabic)
2. MASALME, L. 1982 – **Geomorphology**. Almatpah Aljadedh. Damascus, Syria, 420 P. (In Arabic).
3. CLYDEE, A.MALOTT, A. 1921 – **Subterranean Cut–Off and Other Subterranean Phenomena Along Indian Creek, Lawrence County, Indiana**. Proceedings of Indiana Academy of Science. Geology and Geography vol. 31, 203–210 p.
4. SHABOO, Y., 1979, **GEOLOGICAL MAP OF SYRIA**. Explanatory note for Safita sheet, scale $\frac{1}{50.000}$. General Establishment of Geology and Mineral Resources (G.E.M.R), Damascus, Syria, 46 p.
5. IBRAHIM, S. 2022 – **A field study to the more important Karstic Geomorphological aspects in "Alabrash" river basin**. Tartous University Journal – Arts and Humanities Series, Vol. (6) No. (5), (under pressure) (In Arabic).
6. SAHWAN, W. 2016 – **Geomorphology**. Aleppo University Publication, Syria, 315 P. (In Arabic).
7. GEOLOGICAL MAP OF SYRIA. 1979 – (Tartous, Safita, and Qadmous sheets), scale $\frac{1}{50.000}$. And Explanatory notes. General Establishment of Geology and Mineral Resources (GEMR), Damascus, 1979.
8. JARJOUR, S. 2001– **A Study of the Biological Varieties of the Phytoplankton in Alhossein River – Tartous – Syria.** Tishreen

University Journal for Studies and Scientific Research–Basic Science Series, Vol (23) No (10) 182 – 193 P. (In Arabic).

9. ALSHAAL, F. SALLOHUM, J. and ABDO, H. 2018 – **Prioritization of hydrological maintenance based on geohydromorphometric parameters in Qais river basin**. Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series, Vol. (2) No. (2), 39 – 59 P. (In Arabic).
10. SALLOHUM, J. ALMOUSTAFA, T. and SALH, N. 2021 – **Geomorphological landforms in the Qais River basin (Tartous governorate).** Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies – Arts and Humanities Series, Vol. (43) No. (4), 343–363 P. (In Arabic).
11. IBRAHIM, S. 2021 – **Geomorphological study to the river "capture" process in Kheis river valley (Dreikeesh area)**. Albaeth University Journal – Historical Science Series, Vol. (43) No. (13), 45 – 72 P. (In Arabic).
12. Topographical map (sheets of Tartous, Safita, and Qadmous), scale $\frac{1}{50.000}$. General establishment of geodesy, Damascus.
13. W.w.w. Google Earth Pro.
14. AL EJEL, F; ABD ALRAHEM, H. 1974– **Geology of Syria**. Dar Alfiker, First press, Damascus, Syria, 266 Pages. (In Arabic)
15. IBRAHIM, S. 2020 – **Defining "volcanic necks" sites by field study In the southern part of Syrian coastal chain**. Tishreen

University Journal for Research and Scientific Studies – Arts and Humanities Series, Vol. (42) No.(6), 31 – 51 p. (In Arabic).

16. IBRAHIM, S. 2023 – **A Field Study of the Karstic (cenote) openings in the "Alabrash" and "Al Gamka" river basins, and the possibility to its groundwater exploitation**. Albaeth University Journal – Historical Science Series, Vol. (45) No. (5), 11 – 44 P. (In Arabic).

17. HASAN, S. 2004 – **Principles of Geomorphology**. Daralmassira for press, Amman, Jordan, 512 P. (In Arabic)

# صورة القبائل العربية في فلم لورنس العرب 1962

**طالــب الدراســات العليــا: عبد الهادي زهدي**

**كلية: الآداب – جامعة: البعث**

**الدكتور المشرف: محمد العلي**

**ملخص**

يهدف البحث إلى مناقشة صورة القبائل العربية في فيلم لورنس العرب. يستكشف البحث تشويه صورة العرب في الفيلم حيث يظهرون على أنهم متوحشون وغير متحضرين وأغبياء ، بالإضافة إلى التركيز على عدم قدرتهم على حكم أنفسهم. يتضمن الفيلم بعض المشاهد النادرة التي تصور القليل من الصور الإيجابية للعرب، لكن الصورة السائدة في حد ذاتها سلبية. يتحدث البحث أيضًا غن دور لورانس في الشرق الأوسط بعد إرساله إلى الجزيرة العربية كضابط اتصال ويظهر أن دور لورانس كان مهمًا في الثورة العربية ضد الأتراك. يُصور الفيلم لورانس كبطل خارق لا يمكن للعرب بدونه أن ينتصروا بسبب عدم قدرتهم المفترضة على أن يصبحوا أمة مستقلة.

كلمات مفتاحية: الاستشراق، العرب، لورنس ، تشويه، استعمار.

# The Image of Arab Tribes in *Lawrence of Arabia 1962*

Abstract

This research paper aims to discuss the image of Arab tribes in the film *Lawrence of Arabia*. The research explores the misrepresentation of Arabs in the film in which they are shown as savages, uncivilized and stupid in addition to focusing on their inability to rule themselves. The film includes some rare scenes that depict a few positive images of Arabs but the prevailing depiction is negative itself. The research also explores the role of T. E. Lawrence in the Middle East after he'd been sent to Arabia as a liaison officer and shows that Lawrence's role was significant in the Arab revolt against the Turks. The film also shows Lawrence as a super hero and that without him the Arabs couldn't have won because of their supposed inability to become an independent nation.

**Key words:** Orientalism, Arabs, Lawrence, misrepresentation, colonization.

The representation of Orientals, referring to individuals descending from Asian countries, in Hollywood films has long been a topic of discussion and controversy. Over the years, Hollywood has been able to successfully shape popular stereotypes that now surround these individuals. By analyzing some films and their portrayal of Orientals, we can notice how this representation developed and how the Orientals face difficulties because of those stereotypes.

Regardless of ethnicity or religion of the colonized, the colonizer's main interest is to control the people he's trying to subjugate. The colonizer's intentions might not be revealed because he may try to show good intentions with no benefits, but at the end he wants his share of the cake. In Lawrence of Arabia, however, the British seem to offer financial and military help to the Arabs just to have them as allies to defeat their mutual enemy, the Turks. Actually there were secret intentions and agreements between the allies themselves to take over Arabia behind the Arabs' back as soon as they get rid of the Turks with the help of the Arabs who are

betrayed at the end. In order to achieve this, the British decided to send one of their elite military crafts, Major Lawrence. Lawrence's life inspired many authors to write about his adventurous journeys in the desert of Arabia.

From the very beginning, the movie starts with the image of a memorial statue for T. E. Lawrence. This image tells us how glorious and great he was in the eyes of the West. In the first scene we see that when a journalist asked Mr. Bentley, the American journalist who told the story of Lawrence's great adventures in the East, about the hero, he stated that he "was a poet, a scholar, and a mighty warrior"(00:04:25-00:04:30). An officer who has met Lawrence in Arabia before described him as "the most extraordinary man " he "ever knew", but his friend wondered " but did he really deserve a place, in here?"(00:03:28-00:03:42). This prestigious picture of Lawrence isn't reflected only in the media, but also in literature. Many Western authors see Lawrence as a great man who has done a magnificent achievement for both Britain and the Middle East. Some writers even see that he was among those who helped

form the twentieth century, as David Fromkin, an American historian, says in his book *A Peace to end all Peace*: "Lloyd George, Woodrow Wilson, Kitchener of Khartoum, Lawrence of Arabia, Lenin, Stalin, and Mussolini—men who helped shape the twentieth century"[4]19. Another writer who glorifies Lawrence and his role in Arabia is Alexie Vasiliev, a Russian Arabist and Africanist, as he mentions in his *The History of Saudi Arabia* that "the British propaganda needed heroes and Lawrence was the ideal candidate"[10]28. Also, according to Jeffery Meyers, professor of English in the University of Colorado, Lawrence has introduced the alienated and marginalized Middle East to the rest of the world. In his *T. E. Lawrence, Soldier, Writer, Legend: New Essays*, Meyers describes Lawrence as a great "warrior" who was able to bring victory to the Arab people who are described as an "alien race", or as Meyers says,

> He transformed himself from an obscure archeologist with no military experience into a brilliant strategist and warrior who inspired the victory and independence of an alien race. At the

> postwar conferences in Paris and Cairo, through the force of his personality and the example of his integrity, Lawrence persuaded the political leaders to "settle" the Middle East in accordance with his ideas and to place the Hashemite emirs on the thrones of Transjordan and Iraq. [6]1

The film *Lawrence of Arabia*, however, introduced T. E. Lawrence to the whole world and served to make him one of the most famous men in the 20th century in addition to presenting him as a war hero, or as David Murphy says in his book *Lawrence of Arabia: Leadership, Strategy, Conflict* that the film was a "cinematic sensation". Actually, Murphy himself criticizes the film saying that it had its "historical simplifications and omission", he writes

> Lawrence's life has also always provided inspiration for works of fiction and drama. In 1960 Terence Rattigan's play *Ross* was greeted with acclaim on the London stage, with Alec Guinness in the title role. But it was David Lean's 1962 film *Lawrence of Arabia* that reintroduced Lawrence to the wider

world. With Peter O'Toole as an unlikely Lawrence (at over 6ft, O'Toole was much taller than the real Lawrence), the film became a cinematic sensation, despite its historical simplifications and omissions. [7]59

*Lawrence of Arabia* (1962), COL. A David Lean film. *Peter O'Toole, Alec Guinness, Omar Sharif, Anthony Quinn*. SP: Robert Bolt, Michael Wilson, based on T. E. Lawrence's writings. D: David Lean.

*Lawrence of Arabia* is one of the rare films that show some normal pictures of an Arab character, so, it would be unfair to look subjectively at the film and focus only on the negative representation of Arabs in it. One of the positive scenes is the one inside Faisal's tent. Instead of seeing the typical scenes of belly dancers and erotic women with the prince inside the tent, we see a group of men listening to an old man reciting from the Koran, which is something we don't usually notice in most of Hollywood films. We can also see the generosity of Arabs when they give a gown and a headdress to Lawrence which he accepts gratefully. He becomes

happy when he wears the Arab outfit and he even refuses to change it when he goes back to Cairo to meet the British generals. Lawrence seems also interested in making good personal relationships with Arabs which we can see in his relationship with Sherif Ali, Ouda Abu Tai and his two young Arab servants. We can learn more about Lawrence's fascination with Arabs by reading *Mentality and Thought*, a book by Durst Andersen who claims that Lawrence was charmed with the desert tribesmen and their traits stating that

> Lawrence was deeply fascinated with the desert warriors that he lived and fought with during the First World War. He loved the brotherhood of men, their loyalty to principles of blood and honor among them, and he felt profoundly ashamed of his nation when Britain did not deliver an Arab Kingdom after the war. [1]123

Images of brave Arabs facing the scorching sun of the desert are shown, too. But this displaying of favorable pictures of Arabs doesn't last long, multiple negative depictions invade the film.

Calling them with names such as "savages" and "sheep stealers" might give us some hints about the prevailing images of Arabs in this film. When assigned to his military task as a liaison officer, Lawrence stated that his trip in the desert "is going to be fun" (00:12:23-00:12:26), implying that dealing with Arabs is a silly and enjoyable process that takes no effort, which indicates that they are not to be taken seriously.

In order to be able to play his role effectively, Lawrence starts adapting really well to the desert life by eating Bedouin food and learning nomadic habits. He had already studied the place and its people in minute detail even before heading there. It is easy to recognize that from his conversation with the Arab that accompanied him on his way to meet prince Feisal at first. When the Arab tries to tell Lawrence about the tribe that he descends from, Lawrence immediately states that the man was a " Hazimi of the Beni Salem"(00:19:30-00:19:33). This tells us something about the mentality of the colonizer really well, which appears to be studying,

analyzing and examining the targeted people before colonizing or invading them.

In order to appear more Arab-like, Lawrence began to learn more about Arab life and customs, learning to ride a camel was one of them, too. When Lawrence and his Arab friend reached the Masturah well, the Arab told him that the well belonged to the Harith tribe and the "Harith are dirty people" (00.22.05/00.22.09). At this very moment we can see that this film focuses more on the dark side of Arab tribes which seems to be based on hatred and hostility. This idea is apparent as we see Lawrence's Arab friend killed by another fellow, Ali Ibn Alkharish, or Sherif Ali, who shot the man dead because of the crime of drinking water from a well that didn't belong to his tribe. Ironically, the murderer saw no problem with Lawrence ,the British, drinking from their well, but it appeared to be a criminal action to let an Arab fellow avoid death of dehydration, stating that "the Hazimi may not drink at our well"(00:27:52-00:27:56).

This is the image of tribes the west is trying to convey, showing that they are just barbaric creatures that fight and kill all the time ignoring all the positive habits and traits that those tribes have, such as honor, generosity, remarkable hospitality, helping others and so many other good habits. Generosity, for example, is one of the well-known qualities for Arabs, but the "well" scene shows the exact opposite. Also, leaving the murdered man's body unburied is a preposterous action. The message behind inserting such hideous scenes into the film is apparently to increase hatred against Arabs. In his *Reel Bad Arabs*, Jack G. Shaheen, a writer and lecturer specializing in addressing racial and ethnic stereotypes, states that

> Ali greets them by shooting Lawrence's guide dead. The enraged Lawrence shouts, "He was my friend." Then, Lawrence delivers a soliloquy on Bedouin blood feuds، saying, "Sherif Ali, so long as the Arabs fight tribe against tribe, so long will they remain a little people, a silly people, greedy, barbarous and cruel, as you are." Ali and Lawrence ride off, leaving the guide's body unattended in the desert

> heat. As James E. Akins, former US ambassador to Saudi Arabia, writes: “Ali’s shooting of Lawrence’s guide for drinking water from his well—this is inconceivable.” Akins is correct. Hospitality is a sacred duty for Bedouin. The killing of the Bedouin at Ali’s well is not in Lawrence’s Seven Pillars of Wisdom. [9]538

Therefore, the film creators appear to play with the historical facts and misrepresent what really happened back then. They use Lawrence's *Seven Pillars of Wisdom* to make the film but they don't use it honestly. They seem to be using only what serves their message, add false scenes and omit what doesn't conform with their hidden aims, just like the "well" scene.

Scenes that show the Arabs as primitive and backward are recurrent in this film. When the tribes under Feisal's leadership were attacked by a Turkish military plane, we hear the lieutenant who was with Lawrence saying that those Arabs "do not understand what modern weapons do" (00:33:00). We see prince Feisal raises his sword and points it up towards the planes trying hopelessly to scare

them away. We also see men and women screaming and running aimlessly to escape the attack. It could be true, however, that Arab tribes had no modern weapons at that time, but showing them fighting bullets with swords is apparently to introduce them as silly and stupid people who want to fight against heavy weapons with rusty swords. Such scenes help distorting the image of Arabs and present them as useless people.

In order to proceed with his plans, Lawrence made an agreement with some of the Arab tribes to attack the Turkish garrison in Aqaba. One of the tribe leaders, Auda Abu Tai, agreed to go on with the attack only when he was promised with gold. But when they got there, Auda got furious because there was no gold there and said that gold was his only motivation and not for any patriotic or noble reason. Auda also brags about the 75 men he had killed during his lifetime (01.29.25/01.29.30), which makes the viewer aware of the brutality of those Arabs who are shown as uncivilized savages. It is also worth mentioning that the Turks paid Auda gold only not to fight them, but when he was promised more gold from Lawrence,

he agreed to fight against the Turks (01.30.50/01.31.00 ). Arab tribe leaders who are known to be honest and noble people, are shown here as greedy and dim-witted.

When Jasim, a desert man who was saved once by Lawrence, kills one of his own tribesmen because of "ancient blood" between the two, Lawrence decides to murder Jasim by himself in order to avoid a "tribal blood bath" (01.35.58/01.36.05) It is undeniable that revenge was a bad habit among Arab tribes and that it leads to endless acts of unnecessary bloodshed, but again, focusing on the bad side of the tribes helps to distort the image of the Orient and its dwellers.

Other scenes that depict how Arab tribes look in *Lawrence of Arabia 1962* are the railway raiding ones. With Lawrence, they bomb parts of the railway to stop the supplies that come from the Turks to support their far away soldiers in Arabia. When a part is blown up, the Bedouins start shouting and moving frantically towards the carriages to kill the soldiers and loot all the supplies. Here the Bedouins are filmed as mad creatures who fight over what

is found in the carriages. They seem to be unaware of what they are exactly there for, waiting for a sign from Lawrence, their *leader*, to blow up the rail, attack the Turks and enjoy the spoil (02.15.14/02.26.00).

After reaching Damascus, hundreds of tribesmen are seen pushing each other to enter the meeting hall to discuss the way they are supposed to rule the country after the Turks were defeated. During the meeting, however, the tribesmen were speaking randomly and inappropriately in order to solve some problems like the broken landlines and power generator (03.10.20/03.13.08) The way they are seen talking and shouting shows how uncivilized people they are. The goal behind such scenes must be to prove that those tribe leaders are unable to rule their own country or even to handle such simple issues and that they need a Western governor to take care of their affairs. It seems to be impossible, according to the film makers, for those uncivilized Arabs, who spent all their lives on camels' backs, to reign a civilized city like Damascus. The reason

behind this is that they are simply unqualified for this job. Shaheen cobtinues,

> Now that they occupy Damascus, Lean presents them as untamed animals, stubborn and unreasonable beings who fight among themselves. Even when faced with ordinary tasks, such as operating the city's telephones, hospitals, and water works, nasty Arabs quarrel. Not once does the camera focus on capable sheikhs or the Syrian residents of Damascus, professionals who could easily have restored all basic services. The message here? Arabs are not qualified nor worthy to govern civilized societies. Sighs Ali to Lawrence, "You tried to give us Damascus". [9]539

After failing to handle the situation in Damascus, the camera shows us the nasty Arabs going back to the desert and leaving the matters in the hands of the British. The British, here, have the superiority to control and rule the inferior other, the Oriental. They believe that having fair skin and all kinds of modern weapons make them superior to the weaker peoples.

Those scenes in Damascus, according to Shaheen, are nothing but "false rendering of history" [9]539 to enforce the idea that Orientals are weak, unreasonable and undeveloped. In fact, the Arabs ruled Damascus for two years "under Faisal's rule" [9]539 and not the British. This deliberate "rendering" of facts conveys that the intentions of the film directors are to make the whole world perceive Arabs, or Orientals in general, as useless beings. Those beings seem to be easily led behind their whims and unable to perform any useful tasks. They are also depicted as wild desert animals that won't survive out of their natural habitat. None of them is capable of being a leader even among their own people. Stupidity, greediness, savagery, deceit and dishonesty seem to be the prevailing features of those primitives. They are also depicted as fragmented tribes that can only be united and led by a Western leader, Lawrence, to be specific. In his *Seven Pillars of Wisdom*, Lawrence describes the Arabs as "narrow-minded" and as people who rarely or never use their brains effectively. They are also, according to Lawrence, a people with "so little art" and with zero creativity in addition to their inability to create any "system of

philosophy". He claims that they had no participation regarding industry or creative arts, or as he writes,

> They were a limited, narrow−minded people, whose inert intellects lay fallow in incurious resignation. Their imaginations were vivid, but not creative. There was so little Arab art in Asia that they could almost be said to have had no art, though their classes were liberal patrons, and had encouraged whatever talents in architecture, or ceramics, or other handicraft their neighbours and helots displayed. Nor did they handle great industries: they had no organizations of mind or body. They invented no systems of philosophy, no complex mythologies. [5]8

Lawrence also describes Arab tribesmen as "helots" and as "good slaves" who became his own "property", he says: "These Sherarat helots were an enigma of the desert. While they served me they became wholly my property, and good slaves they were" [5]194. This description of Arabs as slaves reflects the racist mentality of the Western colonizer who apparently believes that the

West is the superior master and the others are nothing but inferior "slaves".

In order to reach a better understanding we need to examine the word "helots" carefully. Presenting Arab tribes as "helots" is also another way to assert their inferiority and inability to rule themselves independently because the Helots themselves were actually slaves in ancient Sparta. According to *Sparta and Lakonia: A Regional History 1300–362 BC*, a book by the historian Paul Cartledge, the Helots were "unfree agricultural labourers" [2]3 who were enslaved by the Spartans during their greatest "political supremacy" [2]3. Their work as slaves included carrying "offensive weapons in Sparta" [2]131 and they were also called "slaves of the community" or "public slaves"[2]142. In addition to the previous information about the Helots, Cartledge says: "The Spartans throughout the period of their greatest territorial expansion and political supremacy (*c.* 550–370) rested their power and prosperity on the necessarily broad backs of the Helots, the unfree agricultural labourers" [2]3.

In short, there might be a similarity between the Arabs and the Helots, in Lawrence's point of view. This is because the Arabs, for him, seem to be only a tool that serves the British interests and no one actually cares about their future or their freedom. This appears to be crystal clear in the film when they are depicted as useless people that no one could take seriously. In other words, they are just like the Helots who were "being denied their legitimate political aspirations [2]139 so they were "unfree" to choose what they wanted. When they succeeded in Aqaba, for example, Lawrence told the tribes' leaders that he should tell the British officers about the victory because no one would believe the Arabs with their funny outfit. Also, nobody would take their word for granted because they are, as we see in most scenes, crowds of untamed Bedouins who cannot speak for themselves.

If we go back to the very beginning, we will see that Lawrence's first step was to find prince Feisal. So, he hired a Bedouin to escort him during his long journey. Lawrence had a unique affection towards the desert. He said that "desert is going to be fun"

(00.12.20/00.12.25) when he was assigned to his mission by the general.

Lawrence was sent to Arabia to convince the Arabs to help the British with their war against the Turks and offered freedom as a price for their collaboration. But his love for the desert and its adventures made the Arabs perceive him as their savior or, in other words, their hero. The greatest heroic action seems to be when Lawrence was able to mingle among the Arabs. By mingling well he was able to persuade them to forget their tribal problems and be united under one leadership in order to defeat the Turks and therefore gain their freedom. He entered Feisal's tent and started to convey his ideas telling them how important it is to fight the Turks side by side and that Britain will help them to be independent (00.39.00/00.45.50). This ability to mingle among the Arabs and persuade them to take action against their mutual enemy tells us a lot about Lawrence's cunningness and uniqueness. However, such tasks are not easy to be accomplished using just one person among

those Bedouins who have a mentality that is different from the Western one.

After the Arabs had agreed with Lawrence, they started to follow his lead and do what he suggests. They began to glorify him until he became one of them. The desert scenes, however, show us what a great film it is. We see, as another act of heroism, Jasim, a tribesman who was one of the travellers going to attack the Turks in Aqaba. As the desert heat was scorching and the travellers had no enough water and shade, Jasim and his camel have gone astray and were unintentionally left behind. When no one was brave enough to go back to search for and fetch the lost man, everyone was surprised when Lawrence defied the desert and decided to trace him and bring him back saying that "nothing is written" until "we" write it (01.05.00/01.06.00). Everyone tried to prevent Lawrence from doing this saying that his fate was "written" but he ignored that and went after him. Eventually, Lawrence was able to survive the difficulties and bring the man back from his certain death. The travellers were astonished when they saw the men coming back

together. They began to show Lawrence more love and respect and gave him a white Arab dress as a sign of appreciation and gratitude and celebrated him like one of their tribesmen.

Ironically, Lawrence killed Jasim, the one whom he had saved before, with his own hands. When Sherif Ali, Lawrence and the other tribesmen meet Auda Abu Tai and his tribe, Jasim kills a man because of an old blood problem. Here, as a man of authority, Lawrence decides to shoot Jasim saying that he will "execute the law"(01:36:34-01:36:37). Actually, he was aware that if any other person execute the murder, the old series of killing won't come to an end. So, the tribesmen agreed and Jasim was shot dead with a revolver. This killing scene shows us how the image of Lawrence was in the eyes of the Arabs. They accepted everything he suggested and approved on every decision he made. This also conveys the movie's message that Arabs are easily led and manipulated by the authority and the mentality of the western man. But what is worth mentioning here is that the scene of killing Jasim is not mentioned in *Seven pillars of Wisdom*. In fact, this indicates

that this film contains scenes that are considered, according to Shaheen, a deliberate "rendering of history"[9]539.

It seems to be wrong to trust the colonizer and to believe that his intentions are merely for your favor. When Lawrence was talking to the British officer about his adventures in the desert, he told him that he had enjoyed killing the people he had killed. This scene, however, tells us a lot about Lawrence's twisted intentions that are not trustworthy. He appears to be working for the Arabs but in reality he "enjoyed" killing them(02:01:20-02:01:30).

The image of Lawrence as a hero began to change as the film proceeds. In order to persuade Abu Tai to join the other tribes, he promised him with a "great box" of gold that existed there which can be taken only when the attack on Aqaba succeeds. But when they got there, Auda found out that there was no "great box" nor gold, all he found was pieces of paper. Therefore, this glorious image of Lawrence started to evaporate. "He lied, he is not perfect"(01:45:45-01:45:55), says Sherif Ali after they discover the lie about the "great box". They thought of Lawrence as a perfect

man who really cared about them and their freedom, but no one can actually trust the colonizer. Indeed, Lawrence was trying to deceive the Arabs and to make them fall prey to his desires and manipulations and as he was "raising" them "on false pretenses"[5]185. In his book, Lawrence admits that his intentions weren't innocent towards the Arabs as he said that he must "take up" his "mantle of fraud in the East"[5]231.

On their way to Aqaba, two young men followed the tribesmen and asked Lawrence to accept them as his loyal servants, which he accepted. Later on, after defeating the Turks in Aqaba, he decides to travel to Egypt to tell the officers in Cairo that Aqaba was down and that they needed to proceed. So, he took his two servants through a difficult journey across the desert. During the trip, they faced the heat, sand storms and quicksand, which unfortunately swallowed one of the young servants. The unexpected thing here is that Lawrence was the one who led the poor boy into the quicksand as he admitted to the General in Cairo (02.00.00/02.01.30). Which is also one of the murders, as seen in the film, he had enjoyed

perpetrating. . Again, the aspects of the "rendering of history"[9 Shaheen]539 continue appearing throughout the film. We see in the film that Daud, Lawrence's servant, fell and got sucked by quicksand. Lawrence was trying to pull him out using his own head cover, but he failed. In his *Seven Pillars of Wisdom,* however, he says that the boy had actually died of cold: "While we were in this comfortable air, with milk plentiful about us, news came from Azrak, of Ali ibn el Hussein and the Indians still on faithful watch. One Indian had died of cold, and also Daud, my Ageyli boy, the friend of Farraj. Farraj himself told us"[5]253.

Deceit and wickedness appear to be the prevailing traits of Lawrence's personality. He told the Arabs that Britain had no intentions in Arabia, but in reality, the plan was to take the place of the Turks when they are kicked out. When discussing this matter with general Allenby, Lawrence tells him that the Arabs had accepted to help the British only when they believed that Britain had good intentions in the region. But later on, we discover the exact opposite when he tells Allenby "That's what I told them

anyway, that's what they think"(02:06:00-02:06:10). The previous scene indicates that the colonizer cannot be trusted at all. When Lawrence asked General Allenby to provide him and the Arabs with money, weapons and heavy artillery, he agreed. After Lawrence had left, Brighton told him that by giving the Arabs artillery they will have the power to gain independence. In fact, giving the Arabs independence was not included in the secret plan of the British. Also, there was no intention to give the Arabs their freedom after defeating the Turks in the first place, or as the General says: "if you gave them artillery you made them independent" (02:08:38-02:08:55).

For Lawrence, however, Arabs were only a tool that is used against the Turks in order to defeat them and kick them out. He describes Arabs as if they were his own property. For him, they are nothing but ferocious "animals" that he unleashes to attack the enemy before they themselves get killed, he writes: "My Arabs crouched in their place, meaning to fight like cornered animals, and kill at least some of the enemy before they themselves died"[5]268.

Degradation is apparently the major characteristic in dealing with and looking at that other. Talking about Arabs as *his* "Arabs" and presenting them as "animals" indicates that this Western colonizer is looking at them as an inferior race that must serve the superior one to be more superior and more in control. Lawrence continues describing Arabs as "superficial, "ignorant" and also presents them as something that he and his government possesses. Actually, that was obvious when he described the Arabs as: "our creatures", or as he writes: "The ignorant, the superficial, the deceived were the happy among us. By our swindle they were glorified. We paid for them our self−respect, and they gained the deepest feeling of their lives. The more we condemned and despised ourselves, the more we could cynically take pride in them, our creatures" [5]276.

Other examples of the misrepresentation of Orientals in literature is evident in the writings of Ernest Renan, a French Orientalist and philosopher. In his book *What is a Nation?,* Renan discusses the differences among races pointing that every race has its own characteristics. He adds that those races have various levels

of superiority or inferiority among other races and that the superior race must colonize the inferior one because it is a "political necessity"[8]232. The inferior races, according to Renan, must be colonized to the "great benefit" of them and of the colonizer himself and that the latter, by colonizing the other, is achieving "the providential order of humanity"[8]232. While on the other hand, a superior race must not conquer another one that equals him in the racial rank because such conducts are considered, according to Renan, as "reprehensible"[8]232. Similarly, when we read Lawrence's description of Arabs in *The Seven Pillars of Wisdom* as "our creatures"[5]276, we can see how the mentality of the colonizer works on the ground. Those "creatures" who represent the inferior other are in need for a colonizer to perform an act of "regeneration" to them since it is a "providential" [8](Renan232) necessity.

Renan's classification of races assign's a specific task for each race. In other words, each race is created to do things that no other race should do. For example, the Chinese race is "a race of

workers", while the Negro is a race that is made for farming lands, or as Renan states,

> Nature has made a race of workers: it is the Chinese race, with its marvelous manual dexterity and hardly any feeling of honor; govern it with justice, drawing from it an ample endowment for the benefit of the conquering race in exchange for the advantage of such a government, and it will be satisfied. The Negro is a race of field laborers; be good and humane toward it, and everything will be in order. The European race is a race of lords and soldiers. Reduce this noble race to toiling in prison like Negroes and Chinamen, and it rebels [8]232.

Along with T.E. Lawrence and Ernest Renan long ago, David Lean, the director of *Lawrence of Arabia 1962*, is providing the same image that the two men before him had provided for the other races. But now, with Lean, it seems to be more dangerous because nowadays the power of the moving picture on the screen conveys the story to an audience that is way larger than that of books and

newspapers. The moving picture is now available to everyone in the world and it is also more eye-catching, especially when the shape and behavior of the characters are portrayed in a way that makes the viewer despise the weak and glorify the strong. In the film, for instance, the British military generals and soldiers are well-dressed and well-organized. They hold meetings in prestigious buildings to discuss how to take over the region from both the Arabs and the Turks. While on the other side, the Arabs are pictured as creatures that move randomly and aimlessly. Most of their language consists of random words and shouts of fury. Their actions are full of deceit, lies and are of a chaotic nature that need a person from an elevated race to colonize and govern. When reading from *The Wretched of the Earth*, one can also see that Franz Fanon, a French political philosopher and psychiatrist, notices how colonialism treats the countries it conquers. He also discusses the way the colonized is exploited to achieve wealth and prosperity for the colonizer. The latter uses either its military forces or deceit to make the colonized people serve its interests and goals. When the colonizer invades a country, however, he apparently doesn't use his own military

personnel to carry out all the labor. But rather, he employs the people of that country to suffer all the toil and then he steals everything from them to have more wealth and benefits. In this regard Fanon states

> This European opulence is literally a scandal for it was built on the backs of slaves, it fed on the blood of slaves, and owes its very existence to the soil and subsoil of the underdeveloped world. Europe's well-being and progress were built with the sweat and corpses of blacks, Arabs, Indians, and Asians.[3]53

Fanon also realizes that the colonizer thinks that "niggers have no culture, and Arabs are by nature barbaric"[3]154 which is similar to how Lawrence perceives *his* "creatures" as "animals". We can see from the above mentioned quotation that those people are badly treated and exploited by a race that degrades other races. This takes us back to Edward Said's *Orientalism* and gives us an idea about the peoples of the Orient in general and how they are treated as inferior races whether they were Africans, Asians or Arabs.

In conclusion, we can see that David Lean, in his film *Lawrence of Arabia 1962*, stands for nothing but colonial Western mentality in depicting the Orient as a place that is full of useless camel riders. It looks like they are not able to free, govern themselves or to run a country under a leadership of their own. They do rather need a Westerner from a supposedly superior race to unify them under his own leadership promising them with an imagined freedom and independence. It is also shown in the film that those Orientals are easily led behind the Western leadership just like they themselves lead their own cattle. This implies that they are a people of primitive nature and naïve mind who are only born to be easily led and controlled. It also indicates that there is no problem in exploiting them to achieve some greedy and colonial interests in the region regardless of the consequences that the colonized people will eventually suffer from.

## Works Cited

**Primary Sources:**

*Lawrence of Arabia*. Dir. David Lean. Perf. Peter O'Toole . Omar Sharif. Columbia pictures, 1962. Film.

**Secondary Sources:**

ADERSON, D2010-**Mentality and Thought: North, South, East and West**. Copenhagen Buisiness School Press, Copenhagen,247p .

CARTLEDGE, P2002- **Sparta and Lakonia: A Regional History 1300-362 BC**. Routledge, New York, 687p.

FANON, F2004. **The Wretched of the Earth**. Grove Press, New York,320 P.

FROMKIN, D1989. **A Peace to End all Peace** . Henry Holland company, LLC, New York, 635p.

LAWRENCE, E1962. **Seven Pillars of Wisdom**. Adelaide Library, Adelaide, 704p.

MEYERS, J1989. **T. E. Lawrence: Soldier, Writer, Legend: New Essays**. St. Marin's Press, Inc., New York, 220p.

Murphy, 2008. **Lawrence of Arabia: Leadership, Strategy, Conflict**. Osprey, Oxford, 96p.

RENAN, E2018. **What is a Nation**. Columbia UP, New York, 328p.

SHAHEEN, J2009. **Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People**. Olive Branch Press, Massachusetts, 627p.

VASSILIEV, A2000. **The History of Saudi Arabia**. Saqi books, London, 576p.

# دور قانون الأحزاب في تنظيم العمل الحزبي في الجمهورية العربية السورية
# دراسة تحليلية لقانون الأحزاب الصادر بالمرسوم التشريعي رقم /100/ لعام (2011)

**ماهر مجد الدين عابدين1، أ. د. عدنان مسلّم2**

**ملخّص**

يتناول البحث قانون الأحزاب السوري الذي صدر في النصف الثاني من العام (2011)، كأحد مخرجات خطة الإصلاح السياسي التي أعلنت عنها الحكومة السورية، ومثّل هذا القانون دعامة من دعائم التعددية الحزبية من خلال إفساح المجال أمام ترخيص الأحزاب السياسية.

رصد البحث أبرز الميزات التي أضافها صدور قانون الأحزاب في الساحة السياسية السورية، والتي تمحورت حول الأبعاد التنظيمية والسياسية والمالية الخاصة بعمل الأحزاب، ورصد البحث أيضاً أبرز المعوقات التي تعيق تطبيق القانون بما يسهم في تعزيز التعددية والتنمية السياسية.

وأظهرت نتائج البحث مدى أهمية قانون الأحزاب؛ لإسهامه في تنظيم عملية ترخيص الأحزاب من حيث وضعُ آلياتِ التأسيس، إضافة إلى إسهامه في تعزيز المشاركة السياسية للأحزاب المرخصة حديثاً، وبالنسبة لأبرز المعوقات فتمثلت بتقديم بعض الأحزاب الجديدة سياسة مناقضة لأحكام الدستور، إضافة إلى غياب مفهوم التمكين السياسي للشباب والمرأة في العضوية المؤسسة للحزب.

**الكلمات المفتاحية:** قانون الأحزاب – الحزب السياسي – العمل الحزبي.

**1 طالب دكتوراة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.**

**2 أستاذ دكتور، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.**

# The Role of the Parties Law in organizing partisan work in the Syrian Arab Republic

# An analytical study of the Parties Law promulgated by Legislative Decree No. /100/ of (2011)

**Maher Majd Eddin Abdin 1 , prof. Dr. Adnan Musalam 2**

## Abstract

The Research deals with the Syrian Party Law, which was issued in the second half of the year (2011), as one of the outputs of the political reform plan announced by the Syrian government. This law represented a pillar of partisan pluralism by allowing the way for political parties to be licensed.

The research monitored the most prominent features added by the issuance of the Law of Parties in the Syrian political arena, which centered on the organizational, political and financial dimensions of the work of the parties. The research also monitored the most prominent obstacles that hinder the application of the law in a way that contributes to promoting pluralism and political development.

The results of the research showed the importance of the parties law. For his contribution to organizing the party licensing process in terms of setting up the establishment mechanisms, in addition to his contribution to enhancing the political participation of the newly licensed parties. As for the most prominent obstacles, it was represented by the introduction of some new parties with a policy that contradicts the provisions of the constitution, in addition to the absence of the concept of political empowerment of youth and women in the founding membership of the party.

**key words: Parties Law - Political Party - Partisan Action.**

1- **PhD student, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University**

2- **Professor Doctor, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University**

**مقدمة:**

يُعدّ موضوع الأحزاب السياسية من المواضيع التي اهتم بها الباحثون في علم الاجتماع السياسي منذ منتصف القرن العشرين، وشكلت الظواهر المرتبطة بذلك الموضوع محط اهتمام الباحثين في هذا الميدان المعرفي، ومثلت البنية القانونية الناظمة لعمل الأحزاب إحدى تلك الظواهر التي عكست سمات الأنظمة والدساتير التي ظهرت فيها، وشكل صدور قانون الأحزاب السوري في الثالث من شهر آب لعام (2011) إحدى نماذج تلك القوانين التي نظمت العمل الحزبي في الجمهورية العربية السورية.

لذا جاء هذا البحث ليلقي الضوء على دور قانون الأحزاب في العمل الحزبي في سورية من خلال دراسة أبرز الميزات التي أضافها في الميدان السياسي والحزبي السوري، إضافة إلى البحث في أبرز المعوقات التي تعيق تطبيق القانون بما يسهم في تحقيق التعددية والتنمية السياسية.

**أولاً: الإطار المنهجي للبحث:**

**أ- مشكلة البحث وتساولاته:**

تشكل البنية القانونية الناظمة لعمل الأحزاب السياسية إحدى الركائز الأساسية التي تنظم الجوانب الفكرية والتنظيمية لها، وتؤطر تلك القوانين شكل الظاهرة الحزبية وسماتها تبعاً للأنظمة والقوانين التي تشرّعها السلطة السياسية في المجتمع.

وتختلف أشكال البنية القانونية الناظمة لعمل الأحزاب من مجتمع لآخر، ومن مرحلة لأُخرى، فتتمثلُ أشكالُ تلك القوانين بقوانينَ خاصةٍ تنظّم العمل الحزبي على أساس تعددي؛ كحالة قانون الأحزاب المصري، وقوانين أخرى تحدد نطاق العمل الحزبي بحزب

واحد؛ كحالة دول الاتحاد السوفيتي سابقاً، إلى جانب قوانين تحظر العمل الحزبي؛ كحالة التجربة الليبية في أثناء حكم العقيد (معمر القذافي).

وفي هذا الجانب مرت البنية القانونية الناظمة لعمل الأحزاب في سورية بالأشكال الثلاثة السابقة، فبداية مع العمل الجمعياتي المحظور في أثناء الحكم العثماني، وانتقالاً إلى العمل الحزبي العلني في أثناء الحكم العربي وما بعد الاستقلال، ووصولاً إلى مرحلة العمل الحزبي المنظم بعد صدور المرسوم التشريعي رقم /100/ بتاريخ 2011/8/3 المتضمن قانون الأحزاب، وارتبط صدور قانون الأحزاب السوري بخطة الإصلاح السياسي التي أعلنت عنها الحكومة السورية بعد اندلاع الحرب في البلاد، التي انسجمت مع مطالب بعض الشخصيات والقوى السياسية المعارضة التي كانت تطالب بإصدار قانون للأحزاب، وآخر للتظاهر والإعلام، الأمر الذي مكّن العديد من التيارات السياسية من ترخيص كياناتها التنظيمية بشكل قانوني وعلني.

ومثّل صدور ذلك القانون نقلة نوعية في مسار الظاهرة الحزبية السورية؛ من خلال السماح بتأسيس الأحزاب بشكل مرخص وفق مجموعة من المواد الناظمة لعملها، التي أسهمت بافتتاح المقرات الحزبية بشكل علني في محافظات الجمهورية العربية السورية كافة، وإصدارها الجرائد الحزبية الناطقة باسمها، إضافة إلى مواد أُخرى نظمت الجانب المالي والتنظيمي الخاص بها.

وفي ضوء المعطيات السابقة وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على صدور ذلك القانون، ومع تنامي النقاش حول دوره في العملية السياسية في البلاد، كان هناك حاجةٌ ملحة للكشف عن دور قانون الأحزاب في تنظيم العمل الحزبي السوري، من خلال البحث في أبرز ما أضافه القانون من ميزات في مسار الظاهرة الحزبية، إضافة إلى

البحث في أبرز المعوقات التي تعيق تطبيقه بما يسهم في تعزيز التعددية والتنمية السياسية، وتكمن مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي الآتي:

**كيف أسهم صدور قانون الأحزاب في تنظيم العمل الحزبي في الجمهورية العربية السورية ؟**

ويتفرع من التساؤل السابق مجموعة من الأسئلة الفرعية الآتية:

1)- ما أبرز الميزات التي أضافها صدور قانون الأحزاب في تنظيم العمل الحزبي في سورية ؟

2)- ما أبرز المعوقات التي تعيق تطبيق قانون الأحزاب في الحياة السياسية السورية ؟

**ب- أهمية البحث:** تنقسم أهمية البحث إلى:

**1)- أهمية نظرية:** تتمثل بالآتي:

1-1: يشكل موضوع البحث إحدى الموضوعات المشتركة بين ميدانين من ميادين علم الاجتماع؛ هما علم الاجتماع السياسي، وعلم الاجتماع القانوني.

1-2: ارتباط موضوع البحث بالعديد من الظواهر الاجتماعية والسياسية؛ كالتنظيم السياسي، والانتخابات، والمشاركة السياسية، والتعددية السياسية، ...الخ.

**2)- أهمية عملية:** الاستفادة من مُخرَجات البحث من قبل بعض المؤسسات الرسمية؛ كلجنة شؤون الأحزاب.

**ج- أهداف البحث:**

1)- بيان أبرز الميزات التي أضافها صدور قانون الأحزاب في تنظيم العمل الحزبي في سورية

2)- التعرف إلى أبرز المعوقات التي تعيق تطبيق قانون الأحزاب في الحياة السياسية السورية.

**د- مصطلحات البحث:**

**1)- الحزب السياسي (Political party):**

1-1: التوضيح اللغوي: الحزب جمعه أحزاب، ومنه يقال: (أن جماعة من الناس تحزبوا)؛ أي: تجمعوا.1

1-2: التوضيح الاصطلاحي: منظمة اجتماعية متماسكة، ينتمي إليها الأفراد؛ لتحقيق أهدافهم وأهداف المجتمع عن طريق العمل الجدي، والكفاح من أجل استلام السلطة، الأمر الذي يتيح المجال أمام الحزب لترجمة أفكاره ومعتقداته إلى واقع عملي في شؤون الدولة2.

**2)- القانون (The Law):**

2-1: التوضيح اللغوي: القانون مفرد، وجمعه: قوانين، والقوانين: هي مقياس كل شيئ وطريقه3.

1)- انظر: الرازي (2018)، ص105.

2)- انظر: الحسن (1999)، ص.259

3)- انظر: عمر وآخرون (2008)، ص.1864

2-2: التوضيح الاصطلاحي: "نسق مكوَّن من معاييرَ مقنَّنةٍ تنظم السلوك الإنساني... وتقوم السلطة الرسمية العامة (السياسية) بفرض القوانين وتفسيرها"4.

**3)- الحياة السياسية (Political life):**

3-1: التوضيح اللغوي: الحياة مصدر (حيِيَ)، وتعني الاستمرارية بالشيء5.

3-2: التوضيح الاصطلاحي: "هي المناخ السياسي السائد داخل مجتمع من المجتمعات، بمعنى مواجهة الجماعات والتنظيمات والأحزاب والأفراد بعضهم لبعض من أجل الفوز ببعض النفوذ أو المناصب أو الأصوات بشرط أن يتم ذلك في ضوء القواعد العامة في المجتمع"6.

**هـ- الدراسات السابقة:**

**1)- الدراسات المحلية:**

بحث باسم ونوس (2016)، حمص، بعنوان "الأحزاب السياسية ودورها في بناء النظام الديمقراطي-سورية نموذجاً، المنشور في مجلة جامعة البعث، المجلد 38 العدد 24، ص11 – ص46، وهدف البحث إلى الآتي:

1-1: التعريف بالأحزاب السياسية ودورها في تعزيز الحياة الديمقراطية والمشاركة في الحياة السياسية.

4)- مجموعة مؤلفين (د، ت)، ص.267

5)- انظر:عمر وآخرون (2008)، ص599.

6)- عبد الكافي (2005)، ص108-109.

2-1: دراسة الأحزاب السياسية من خلال البحث في الآراء المؤيدة والمعارضة لوجود الأحزاب.

3-1: التعرف إلى قانون الأحزاب السياسية السوري الجديد والدور الذي يمكن أن يؤديه في تدعيم عملية التحول الديمقراطي في سورية.

واعتمد الباحث في بحثه من الناحية المنهجية على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل إلى النتائج الآتية:

1-1: التأكيد على أهمية دور الأحزاب السياسية في عملية بناء النظام السياسي الديمقراطي.

2-1: أكد البحث على أهمية صدور قانون الأحزاب السياسية في سورية لعام 2011، كخطوة مهمة على طريق الإصلاح السياسي، وتعزيز المشاركة السياسية في البلاد.

**2)- الدراسات العربية:**

بحث إسماعيل المحجوبي وجمال بشير بادي (2020)، برلين، والذي كان بعنوان "قراءة في قانون تنظيم الأحزاب السياسية الليبي (دراسة تحليلية)"، المنشور في مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد 21 المجلد 4، ص85 – ص100، وهدف البحث إلى تحقيق النقاط الآتية:

1-2: التعرف إلى مواد قانون الأحزاب السياسية الليبي الناظم للعمل الحزبي.

2-2: وضع توصيات لمعالجة نقاط الخلل في القانون.

واعتمد الباحثان على المنهج التحليلي والمنهج المقارن، وتوصلا إلى النتائج الآتية:

1-2: لم تصدر لائحة تنفيذية تفصيلية خاصة بكيفية تطبيق أحكام القانون.

2-2: يُعد قانون الأحزاب في ليبيا أول قانون يصدر فيها منذ عام (1951) ويمثل خطوة لترسيخ التحول الديمقراطي.

2-3: لم يخلُ القانون من نقاط سلبية منها عدم الدقة في الصياغة الدستورية، وعدم تقسيمه لمواد رئيسية.

**3)- التعقيب على الدراسات السابقة:** يستفيد البحث الحالي من الدراسات السابقة في الجانب النظري والمنهجي المتعلق بموضوع الظاهرة الحزبية وإطارها القانوني، إضافة إلى استفادته من نتائج تلك الدراسات لوضع تصور عام عن مشكلة البحث، ويعد البحث في التنظيم القانوني لعمل الأحزاب القاسم المشترك فيما بينهم، ويتميز موضوع البحث الحالي عن تلك الدراسات ببحثه الموضوع من زاويته الاجتماعية على خلاف الدراسات السابقة التي كانت دراسات سياسية أو قانونية.

**و- منهجية البحث:**

يُعدّ هذا البحث من الأبحاث التحليلية الوصفية وذلك لاتجاهه نحو تحليل بعض مواد قانون الأحزاب التي أسهمت في تنظيم العمل الحزبي في سورية، ويستند البحث إلى المنهج العلمي من خلال الاعتماد على الطريقة الوصفية التحليلية لكونها الأسلوب الأنسب في تحليل الظواهر اعتماداً على المعلومات والبيانات المرتبطة بها.

## ثانياً- الإطار النظري للبحث:

**أ- الحزب السياسي تعريفه، وأركانه، ووظائفه:**

يُعدّ الحزب السياسي أحد أركان العمل السياسي في المجتمعات الديمقراطية، وشكلت الأحداث السياسية في القارة الأوروبية والأمريكية في أعقاب الحرب العالمية الأولى والثانية عاملاً أساسياً في اهتمام علماء الاجتماع بدراسة موضوع الأحزاب السياسية،

فظهرت العديد من الدراسات التي عالجت الظاهرة الحزبية من ناحية المفهوم، إضافة إلى دراسات عالجت الموضوع من الناحية التنظيمية والوظائفية، وفي هذا الإطار يمكن الوقوف عند تلك النواحي من خلال النقاط الآتية:

**1)- تعريف الحزب السياسي:** تمثل قضية تعريف الحزب السياسي إحدى القضايا الإشكالية التي اختلف في تعريفها علماء الاجتماع الأوائل، والباحثون في هذا الميدان المعرفي، ويعود ذلك التباين إلى اختلاف المدارس الاجتماعية التي ينتمون إليها، إضافة إلى عامل آخر تمثل في حداثة المفهوم المدروس، إذ يُرجع غالبية علماء الاجتماع نشأةَ المفهوم إلى منتصف القرن التاسع عشر، فحسب عالم الاجتماع الفرنسي **(موريس ديفرجيه Maurice Duverger) (1917 – 2014)** أنه في عام (1850) "لم يكن أي بلد في العالم –باستثناء الولايات المتحدة– يعرف الأحزاب السياسية بالمعنى العصري للكلمة"7، وفي هذا الإطار تبنى (ديفرجيه) تعريف الحزب أنه: "اجتماع رجال يعتنقون العقيدة السياسية نفسها"8.

بينما عرف عالم الاجتماع **(ماكس فيبر Max Weber) (1864 – 1920)** الحزب أنه: مصطلحٌ "يُستخدم للدلالة على علاقات اجتماعية تنظيمية تقوم على أساس الانتماء الحر، والهدف هو إعطاء زعماء الحزب سلطة داخل الجماعة التنظيمية، لتحقيق هدف معين"9.

---

7)- ديفرجيه (2011)، ص.6

8)- المصدر السابق، ص2.

9)- أبو حمود (2012)، ص295.

**من خلال ما سبق يمكن القول:** أن الحزب السياسي هو مجموعة منظمة من الأفراد يخضعون لسلسلة من الأنظمة والقوانين التي تصدرها قيادات ولجان الحزب، ويشتركون في الرؤى والأفكار السياسية الواحدة، ويسعون من خلال عملهم المنظم للوصول إلى السلطة السياسية وتحقيق مجموعة من الأهداف عبر تطبيق برامج الحزب على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

**2)- أركان الحزب السياسي:** تُعدّ أركان الحزب السياسي أو ما يُطلق عليه بعض علماء الاجتماع مصطلح عناصر الحزب السياسي إحدى أساسيات الإطار النظري للظاهرة الحزبية، ويعتمد تصنيف تلك الأركان على التعاريف التي قدمها الباحثون في توضيح مفهوم الحزب، التي يمكن إيجازها بالآتي:

**2-1: قيادة الحزب:** تُمثل قيادة المؤسسات أو التنظيمات على اختلاف أنواعها عَصَبَ عَملها على الصعيد الإداري والتنظيمي والمالي، ويرتكزُ عمل الأحزاب السياسية بشكل أساسي على وجود القيادة الحزبية التي تتنوعُ أشكالها من حزب لآخر، فتُحكَمُ بعضُ الأحزاب بواسطةِ القيادةِ الفرديةِ التي تَتَّسمُ بالطابع الشخصي، التي يُطلق عليها مصطلح (أحزاب الأشخاص)، أما النوع الآخر فيتمثلُ بالقيادة الجماعية التي تحكم الأحزاب من خلال المكاتب السياسية واللجان مركزية.

**2-2: الكوادر البشرية:** تُعدّ الكوادر البشرية -أو ما يطلق عليها بعض علماء الاجتماع: (البنية البشرية للحزب)- القاعدةَ الأساسية التي يرتكز عليها عمل الأحزاب والتنظيمات السياسية، ويُمثلُ اتساع تلك القاعدة دليلاً على قوة تلك الأحزاب في اكتساب الدعم والقبول الجماهيري لها، وتعتمد الأحزاب ذات الطابع القومي والديني على حشد أكبر عدد من الأعضاء في صفوفها وفق شروط معينة للانتساب إليها.

**2-3: الإيديولوجيا:** تُشكل الإيديولوجيا الحزبية أو النسق الفكري للحزب المحدد الأساسي لأهداف الحزب ولبرنامجه على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتنقسم الأحزاب في هذا الإطار إلى أحزاب: ليبرالية، واشتراكية، وقومية، ودينية،...الخ، وتزداد أهمية هذا الجانب أثناء الحملات الانتخابية التي تسعى الأحزاب من خلالها لحشد الدعم الجماهيري من خلال توافق دعواتها مع الميول الإيديولوجية لفئات المجتمع، ويظهر ذلك جلياً في المجتمعات ذات السمة التعددية على الصعيد الفكري، والديني، والعرقي10.

**2-4: البنية القانونية والتنظيمية:** يعتمد عمل الحزب بشكل أساسي على وجود نسق من القوانين والأنظمة التي تحدد طبيعة علاقة أعضاء الحزب بقيادتهم، وعلاقة الأعضاء فيما بينهم، ويشكل النسق التنظيمي المحدد الآخر الذي يضبط الانتشار الجغرافي لعمل الحزب على أساس التكوين العلني لفروع الحزب وشعبه وفرقه وحلقاته، وفق مواد ناظمة يعلنها الحزب في نظامه الداخلي ومؤتمراته الدورية.

**3)- وظائف الحزب السياسي:** تُشكل جزئيةُ (وظائف الحزب السياسي) إحدى القضايا التي اهتم الباحثون بدراستها، وتنقسم تلك الوظائف إلى ثلاثة محاور أساسية يمكن إيجازها بالآتي:

3-1: التعبير عن آراء المواطنين، وتنظيمها من خلال برامج الأحزاب الانتخابية.

3-2: تنظيم التمثيل الشعبي للمواطنين وإعداد الأطر السياسية.

3-3: التنشئة السياسية وتكوين الرأي العام11.

10)- انظر: عابدين (2020)، ص27.

11)- انظر: صاصيلا (2013)، ص153 – ص154.

**يُلاحَظ مما سبق،** مدى الأهمية الوظيفية للحزب السياسي الأمر الذي يعود –بالدرجة الأولى– لكونه إحدى المؤسسات التي تتمتع بالشخصية الاعتبارية من الناحية القانونية، إضافة إلى امتلاكه منظومة مؤسساتية تتسم بالانتشار الجغرافي، والتراتبية التنظيمية التي تحددها عادة أنظمة الأحزاب الداخلية على أساسٍ هرمي تبدأ من المكتب السياسي للحزب، ثُم فروع الحزب في الأقاليم أو المحافظات، فالشُعَب الحزبية، وأخيراً الفرق الحزبية، وهو ما يُعرف في علم الاجتماع بمنظومة المؤسسات في نظرية رأس المال الاجتماعي.

## ب– البنية القانونية الناظمة لعمل الأحزاب السياسية في سورية منذ عام (1918) حتى عام (2011):

أسهمت التطورات السياسية التي أحاطت بالحراك الحزبي السوري في إغناء الظاهرة الحزبية في البلاد، التي بدأت مع إعلان تشكيل أول حزب سياسي في دمشق بعد وصول الأمير (فيصل) للحكم بما عُرف بمرحلة الحكم العربي، ومروراً بالأحداث التي تلت احتلال الفرنسيين للبلاد، والاستقلال عنها عام (1946)، وانتقالاً إلى عام (1963) الذي شهد قيام ثورة الثامن من آذار التي مثّلت المحطة الأبرز في مسار الحراك الحزبي في النصف الثاني من القرن العشرين، ووصولاً إلى عام (2011) الذي شهد صدور قانون الأحزاب الذي يُعدّ الحدث الأبرز في مسار العمل الحزبي السوري.

وتأثرت البنية القانونية الناظمة لعمل الأحزاب بطبيعة تلك المراحل والأحداث السياسية والدولية، وظهرت معالم ذلك التأثير من خلال تغير معالم تلك البنية بين إعلان الحظر التام للعمل الحزبي، والسماح بالعمل الحزبي العلني، ووصولاً إلى الترخيص الرسمي بعد صدور قانون الأحزاب عام (2011)، وتجسدت تلك الأشكال في الدساتير المتعاقبة في البلاد منذ الربع الثاني للقرن العشرين بالآتي:

**1)- البنية القانونية الناظمة لعمل الأحزاب في الدساتير المؤقتة:** بعد نهاية حكم العثمانيين للوطن العربي دخلت قوافل الجيش العربي إلى دمشق معلنةً قيام الدولة العربية بقيادة الأمير (فيصل)، التي تمكنت فيها التيارات السياسية من تأسيس الأحزاب بموجب العمل بقانون الجمعيات العثماني الذي صدر عام (1909) القائم على أساس "حرية الرأي وحرية الاجتماع وحرية تأليف الجمعيات12، الذي استمر العمل به خلال تلك الفترة، وانتقالاً إلى عام (1920) الذي أُعلن فيه عن حلّ جميع الأحزاب لسنوات عدة بعد احتلال الفرنسيين للبلاد، لتعود الأحزاب لممارسة نشاطها السياسي بعد اندلاع الثورة السورية الكبرى بموجب إخبار السلطات عن تأسيسها، وإلى جانب الدساتير السابقة أعلنت دساتير الانقلابات العسكرية بين عامي (1951/1949) عن حلّ غالبية الأحزاب السياسية، وهو ما تكرر في دستور دولة الوحدة بين سورية ومصر عام (1958).

**2)- البنية القانونية الناظمة لعمل الأحزاب في الدساتير الدائمة:** شهدت فيها الساحة السياسية السورية نوع من الاستقرار الدائم أو شبه الدائم عُرفت بمصطلح (حكم الدساتير الدائمة)، إذ مثّل الاستمرار بدستور عام (1950) لسنوات عدة حالة من الاستقرار الدستوري والسياسي، وانعكس ذلك على الحراك الحزبي إذ قامت المادة /18/ منه على أساس حق السوريين بتأسيس الأحزاب بشرط إخبار السلطات بذلك وأن تكون أهدافها مشروعة13، ومروراً بالدستور الدائم الصادر بالعام (1973) الذي قام على أساس أن حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في الدولة والمجتمع ويقود جبهة وطنية تقدمية وفق المادة الثامنة منه14،

12)- سمرة (2017)، ص223.

13)- انظر: دستور الجمهورية العربية السورية لعام (1950).

14)- انظر: دستور الجمهورية العربية السورية لعام (1973).

دون أيّ إشارة لأي مادة قانونية تفسح المجال أمام تأسيس الأحزاب، الأمر الذي أدى إلى مطالبة البعض بإصدار قانون للأحزاب في تلك الفترة، ليأتي صدور قانون الأحزاب عام (2011) إضافة إلى تعديل الدستور عام (2012) الذي عُدِلَّت بموجبه المادة الثامنة من الدستور السابق إذ قامت المادة الجديدة منه على أساس التعددية السياسية، والحق في ترخيص الأحزاب السياسية15.

**من خلال ما سبق يمكن القول:** إن القوانين والأنظمة الدستورية تُعد إحدى المحددات التي تحدد شكل العمل الحزبي، فتؤثر القوانين التي تحظر العمل الحزبي على اتجاهات فئات كبيرة من المجتمع من خلال تعزيز حالة الخوف من المشاركة السياسية عن طريق الأحزاب، وعلى الجانب الآخر يؤدي تشريع القوانين التي تُرخص الأحزاب إلى زيادة نسبة المشاركة السياسية من قبل الأفراد على اختلاف توجهاتهم، الأمر الذي يعزز التعددية السياسية من خلال وجود أحزاب تعمل على ترجمة برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على أرض الواقع وهو ما يعود بالنفع على المجتمع.

## ثالثاً: تأثير قانون الأحزاب في الحياة السياسية السورية وأبرز معوقات تطبيقه:

شَكّلَ صدور قانون الأحزاب نقلة نوعية في مسار الظاهرة الحزبية السورية، ومكّن ذلك القانون العديد من التنظيمات السياسية من ترخيص كياناتها التنظيمية وفق مجموعة من الشروط على الصعيد التنظيمية والفكرية، ومن هذا المنطلق تتجه هذه المفردة من البحث لتسليط الضوء على بعض مواد القانون التي نظمت العمل الحزبي في سورية، إضافة إلى التطرق إلى أبرز المعوقات التي تقف عائقاً أمام تطبيق القانون بما يسهم في تعزيز المشاركة والتنمية السياسية.

15)- انظر: دستور الجمهورية العربية السورية لعام (2012).

**أ- الميزات التي أضافها قانون الأحزاب في الحياة السياسية السورية:**

تمثل القوانين إحدى محددات الضبط الاجتماعي في المجتمع، وتُنظم القوانين عمل الأفراد في الميادين المتعددة، وفي هذا الإطار تُعدّ القوانين التي تنظم العمل السياسي إحدى المبادئ الأساسية في الدستور السوري، ومثّل صدور المرسوم التشريعي رقم /100/ عام (2011) المتضمن قانون الأحزاب إحدى تلك القوانين التي نظمت العمل الحزبي في البلاد، وفي هذه المفردة سيتم الوقوف على أبرز المسائل التي أضافها صدور ذلك القانون من خلال النقاط الآتية:

**1)- تنظيم العمل الحزبي في الجمهورية العربية السورية:** نظم القانون عملية ترخيص الأحزاب السياسية من حيث آلية التقدم لطلب الترخيص عبر شروط تتعلق بالجانب البشري والفكري الخاص بها، إضافة إلى تنظيمه آلية إعداد أنظمة الداخلية والبرامج السياسية والفكرية بما يتوافق مع دستور البلاد، إلى جانب تنظيم عملها السياسي والتنظيمي، وتجلّت معالم ذلك التنظيم من خلال:

**1-1: تحديد مفهوم الحزب المرخص:** يُعدّ الخلط بين مفهوم الحزب والتنظيم السياسي من أبرز القضايا الإشكالية التي كانت تواجه الباحثين في مجال الظاهرة الحزبية السورية منذ الربع الأخير من القرن العشرين حتى عام (2010)، وهو ما ظهر بشكل جلّي بعد تشكيل التكتلات السياسية للتنظيمات التي عملت خارج إطار الجبهة الوطنية التقدمية كحالة التجمع الوطني الديمقراطي، لكن صدور القانون حدد تعريف الحزب في المادة الأولى أنه: "تنظيم سياسي يؤسس وفقاً لأحكام هذا القانون بهدف المساهمة في الحياة السياسية متخذاً الوسائل السلمية والديمقراطية لتحقيق ذلك"16، الأمر الذي وضع المحدد القانوني الذي يفرق بين مفهوم الحزب المرخص ومفهوم التنظيمات غير المرخصة التي

16)- المرسوم التشريعي رقم /100/ المتضمن قانون الأحزاب.

انتشرت في الساحة السياسية السورية في الربع الأخير من العام (2011)، كحالة تنظيمات (التضامن الوطني الديمقراطي) و(الاتحاد الديمقراطي السوري) وغيرهم، التي لم تستطع ترخيص كياناتها لعدم تحقيقه شرط الترخيص في أن يصل عدد أعضائه إلى (1000) عضو كحد أدنى، إضافة إلى تنظيمات أخرى لم تُرخص بسبب مخالفة أفكارها لدستور البلاد كحالة تنظيمات (عدل) و(المبادرة الوطنية).

**1-2: إبعاد العمل الحزبي عن العشوائية الحزبية والطائفية السياسية:** تُمثل مشكلة العشوائية الحزبية إحدى المعوقات التي تعيق تنظيم العمل السياسي والحزبي في المجتمعات، وبرزت هذه المشكلة في بعض المجتمعات التي تنتشر فيها الأحزاب ذات الطابع الفردي التي تتكون من مجموعة من الأفراد تجمع بينهم صلات قرابة أو صداقة والتي قد لا يتجاوز عدد أعضائها العشرة أعضاء، كحالة بعض التجمعات السياسية في لبنان، الأمر الذي أفقد العمل الحزبي طابع التنظيم وكان سبباً في حدوث مزيد من التشتت والاغتراب السياسي في المجتمع اللبناني، وتجاوزاً لهذه الإشكالية في الحياة السياسية السورية فقد حددت المادة /12/ من قانون الأحزاب السوري شرطاً أن يصل عدد "الأعضاء في الحزب إلى /1000/ عضو أن يكونوا من المسجلين في سجلات الأحوال المدنية لنصف محافظات الجمهورية العربية السورية على الأقل على ألا تقل نسبة الأعضاء في كل محافظة عن 5 بالمئة من مجموع الأعضاء"17.

وفي الجانب الآخر فقد تميز قانون الأحزاب السوري من خلال منعه تأسيس الأحزاب على أساس ديني أو مذهبي أو عرقي، فأكدت المادة /5/ على : "عدم قيام الحزب على أساس ديني أو مذهبي أو قبلي أو مناطقي أو على أساس التمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللون"18، الأمر الذي يجرد العمل الحزبي من أي استغلال للعاطفة الدينية أو العرقية أو ما بات يُعرف في العلوم الاجتماعية بمسمى (الطائفية السياسية).

17)- المرسوم التشريعي رقم /100/ المتضمن قانون الأحزاب.

18)- المرسوم التشريعي رقم /100/ المتضمن قانون الأحزاب.

**من خلال ما سبق يمكن ملاحظة** مدى أهمية الشروط التي وضعها قانون الأحزاب من الناحية العددية لعدد أعضاء الحزب، الأمر الذي يبعد الظاهرة الحزبية عن العمل الحزبي ذات الطابع الشخصي الأمر الذي يُعرف في علم الاجتماع السياسي بمصطلح: (أحزاب الأشخاص).

وإلى جانب ذلك كان لشرط تمثيل الـ/1000/ عضو لنصف محافظات البلاد الأثر الأبرز في إبعاد العمل الحزبي عن السمة المناطقية التي تحقق الأهداف العرقية والدينية بعيداً عن المصالح الوطنية، وتعزز ذلك الأمر أيضاً من خلال المادة الخامسة التي منعت تأسيس أحزاب سياسية على أساس ديني أو عرقي أو قبائلي.

**1-3: خصوصية التنظيم الحزبي:** تُشكل الأحزاب السياسية العابرة للحدود إحدى أنماط العمل الحزبي التي انتشرت في الفترة الممتدة بين الحرب العالمية الأولى والثانية، وظهرت نماذج لهذا النمط من الأحزاب في سورية من خلال عمل بعض الحركات القومية والدينية والشيوعية، كحالة الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي تجاوزت حدود عمله الفكري والتنظيمي حدود البلاد منذ نشأته، ومثّلت هذه الجزئية إحدى الإشكاليات التي ارتبطت بالظاهرة الحزبية السورية لما تشكله من خطر على الاستقرار الداخلي والإقليمي، وتجاوزاً لهذه الإشكالية دعا البند الأخير من المادة /5/ من قانون الأحزاب السوري: "ألا يكون الحزب فرعاً أو تابعاً لحزب أو تنظيم سياسي غير سوري"[19]، الأمر الذي انعكس على عدم ترخيص الحزب السوري القومي الاجتماعي – المركز منذ صدور قانون الأحزاب عام (2011) حتى قبوله فصل قيادته عن القيادة اللبنانية للحزب عام (2016)[20] ، وكذلك الأمر بالنسبة لحلّ حزب البعث العربي الاشتراكي لقيادته القومية تطبيقاً لمواد قانون الأحزاب.

19)- المرسوم التشريعي رقم /100/ المتضمن قانون الأحزاب.

20)- انظر: عابدين (2020)، ص123 – ص124.

**مما سبق يمكن القول:** إن منع قانون الأحزاب تأسيس فروعٍ للحزب خارج حدود البلاد مرتبط بإبعاد العمل الحزبي عن أي روابط أو أجندة خارجية، الأمر الذي يحصن العمل الحزبي من تأثير الأحداث الإقليمية والدولية؛ كحالة بعض التنظيمات الدينية والقومية التي تمتد أنشطتها لخارج حدود البلدان التي تنشط فيها، وهو ما أسهم في مجتمعات عدة بانتقال الأزمات السياسية من بلد لآخر؛ نتيجة ذلك الامتداد العابر للحدود، وخاصة إذا كانت تلك الأحزاب تقوم على أساس الطاعة العمياء لقرارات قيادتها.

**2)- توسيع قاعدة المشاركة السياسية في البلاد:** تُعدّ مشاركة الأحزاب في العمليات الانتخابية إحدى الوسائل التي تمكنها من تحقيق أهدافها وتطبيق برامجها في ميادين المجتمعات، وتحدد عادة قوانين الانتخابات وبعض قوانين الأحزاب شكل وحجم تلك المشاركة من خلال تحديد عدد المقاعد المتاحة للقوائم الحزبية، وفي هذا الجانب شكل صدور قانون الأحزاب في سورية أحد أبرز العوامل التي أسهمت في تعزيز المشاركة السياسية للأحزاب المرخصة حديثاً* إلى جانب أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية** ذات التاريخ السياسي الطويل، الأمر الذي تجلى في ترشيح عددٍ من تلك الأحزاب لبعض أعضائها لانتخابات مجلس الشعب، إضافة إلى تشكيل بعض التحالفات السياسية على شكل قوائم حزبية، كحالة الجبهة الشعبية للتحرير والتغيير التي تشكلت عام (2011) بقيادة حزب الإرادة الشعبية، التي شاركت في انتخابات مجلس الشعب لعام (2012)،

*- الأحزاب المرخصة حديثاً (حتى مرحلة إعداد البحث): حزب التضامن، الحزب الديمقراطي السوري، حزب التضامن العربي الديمقراطي، حزب التنمية الوطني، حزب الشباب الوطني السوري، حزب الشباب للبناء والتغيير، حزب الإدارة الشعبية، حزب الشعب، حزب سورية الحضارة، حزب التطوير والتحديث، حزب الإصلاح الوطني، الحزب القومي العربي (قيد الإعداد للمؤتمر التأسيسي).

**- أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية (حتى مرحلة إعداد البحث): حزب البعث العربي الاشتراكي (رئيس الجبهة)، الحزب الشيوعي السوري، الحزب الشيوعي السوري الموحد، حزب الاتحاد الاشتراكي العربي، حزب العهد الوطني، الحزب الوحدوي الاشتراكي الديمقراطي، حزب الوحدويين الاشتراكيين، حزب الاتحاد العربي الديمقراطي، الحزب السوري القومي الاجتماعي-المركز، حزب حركة الاشتراكيين العرب المجمد من عضوية الجبهة منذ عام (2017).

وفي هذا الإطار يمكن إجمال نتائج مشاركة الأحزاب المرخصة حديثاً في انتخابات مجلس الشعب من خلال الجدول الآتي:

**جدول رقم (1)** يظهر نتائج مشاركة الأحزاب المرخصة حديثاً في انتخابات مجلس الشعب 21

| اسم الحزب | الدور التشريعي الأول (2016/2012) | الدور التشريعي الثاني (2020/2016) | الدور التشريعي الثالث (2024/2020) |
|---|---|---|---|
| **حزب التضامن** | لا يوجد | مقعد واحد (شاغر عن محافظة الرقة) | مقعد واحد |
| **حزب الإرادة الشعبية** | مقعدان | لا يوجد | لا يوجد |
| **حزب الشعب** | لا يوجد | مقعد واحد | مقعدان |

**3)- تنظيم الشؤون المالية بعيداً عن مخاطر المال السياسي:** يمثل الجانب المالي في عمل الأحزاب أحد الأركان الأساسية الذي يحدد طبيعة ومدى نشاطها، إضافة إلى تأثيره المباشر في الحملات الانتخابية، وتتمثل مصادر ذلك التمويل عادةً من خلال اشتراكات أعضائها والتبرعات والهبات، وترتبط تلك المصادر بشكل أساسي بطبيعة القوانين المنظمة للعمل الحزبي في المجتمعات، وفي هذا الإطار حدد قانون الأحزاب مصادر الحزب المالية بـ"اشتراكات أعضائه – الإعانات المخصصة من الدولة – حصيلة استثمار أمواله في المجالات غير الربحية... – الهبات والتبرعات"22، إضافة إلى تأكيد القانون على منع الأحزاب من تحصيل الأموال من أشخاص أو أي جهة غير سورية، وإلى جانب ذلك حدد القانون آلية التبرع للحزب من خلال وجود سجلات رسمية تُدون

21)- انظر: عابدين (2020)، ص146 – ص147.

22)- المرسوم التشريعي رقم /100/ المتضمن قانون الأحزاب.

عليها أسماء المتبرعين على ألا تزيد قيمة التبرع على "خمس مئة ألف ليرة سورية في المرة الواحدة أو على مليوني ليرة سورية في العام الواحد"23.

**وفي هذا الجانب** أبعد القانون تأثير المال السياسي على مسار عمل الأحزاب، الأمر الذي تجلى من خلال منع الأحزاب من قبول تبرعات أو أي مبالغ مالية من جهات خارجية سواء كانوا أشخاص أو دول أو منظمات دولية، وهو ما يتوافق مع دساتير وقوانين الأحزاب في العديد من الدول كحالة القانون الجزائري الذي "حظر تلقي التبرعات من جهات أجنبية"24، وكذلك بالنسبة للقانون المصري، لما يترتب على قبول الأموال الأجنبية من حجزٍ لاستقلالية الأحزاب التي تتجلى بالضغوط السياسية لتنفيذ مخططات معينة لصالح الدول الداعمة لهم، كحالة بعض الأحزاب اللبنانية التي أصبحت أسيرة قرار بعض الدول الغربية لتنفيذ سياسات تصب في مصالحها السياسية والدولية، وإلى جانب تأثير التبرعات الخارجية من جهات أجنبية يظهر تأثير الأموال والهبات التي يقدمها بعض التجار والشخصيات داخل صفوف الحزب أو من خارجه، التي يُطلق عليها مصطلح (المال السياسي الداخلي)، ففي هذه الجزئية يُحسب لقانون الأحزاب السوري وضعه الضوابط لهذه العملية من خلال آليات توضح اسم المتبرع، إضافة إلى تحديده حجم ذلك التبرع بين (500) ألف ليرة لكل مرة وعلى ألا يتجاوز حجم ذلك التبرع على مدار السنة المليوني ليرة، وفي ذلك إبعاد واضح لمفاسد ذلك المال الذي قد يحجم عمل الحزب في مسار معين، وكذلك الأمر بالنسبة لمنع تأثير المال السياسي في انتخابات الفروع واللجان والمكاتب السياسية للأحزاب من قبل بعض الشخصيات التي قد تسعى لاستغلال التبرع للحزب لمصالح شخصية.

23)- المرسوم التشريعي رقم /100/ المتضمن قانون الأحزاب.

24)- أقيس (2020)، ص170.

**ب- معوقات تطبيق قانون الأحزاب في الحياة السياسية السورية:** يُعدّ الحديث عن الميزات التي تضيفها القوانين ناقصاً من الناحية العلمية والواقعية إذا لم يكتمل بالبحث عن المعوقات التي تعيق تطبيقه، وفي هذه المفردة من البحث سيتم التوجه لإلقاء الضوء على أبرز المعوقات التي تعيق التطبيق الفعلي لقانون الأحزاب بما يسهم في تعزيز المشاركة والتنمية السياسية، ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

**1)- مخالفة سياسة بعض الأحزاب المرخصة حديثاً لدستور الجمهورية العربية السورية:** نصَّ قانون الأحزاب السوري على التزام الأحزاب المرخصة بأحكام دستور البلاد من خلال عملهم وبرامجهم على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، كإحدى الشروط لحصول الحزب على الترخيص القانوني لمباشرة عمله ونشاطه، لكن توجهت بعض الأحزاب التي تم ترخيصها -بالرغم من ذلك الشرط- إلى إصدار بعض المنشورات والرؤى الحزبية التي تعارضت مع مواد وبنود الدستور، وخاصة في القضايا المتعلقة بمصادر التشريع وتحديد ديانة رئيس الجمهورية، وفي هذا المجال طالبت بعض الأحزاب المرخصة حديثاً بتعديل المادة المحددة لديانة رئيس الجمهورية بالديانة الإسلامية كحالة حزبي (التضامن وحزب الشعب)، إضافة إلى أحزاب طالبت بإلغاء كامل للمادة الثالثة من الدستور* كحالة حزبي (الشباب الوطني السوري والإرادة الشعبية)25.

**وفي هذا الجانب** يظهر مدى التعارض بين ما قدمته تلك الأحزاب ومواد الدستور وهو ما يجعل هذه الرؤى متناقضة مع الالتزام الذي رُخصت من خلاله، الأمر الذي يطرح العديد من الاستفسارات حول هذا التناقض وخاصة أن بعض تلك الأحزاب طالبت بتعديل المادة

*- تنص المادة الثالثة من دستور الجمهورية العربية السورية أن دين رئيس الجمهورية الإسلام، والفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع.

25)- انظر: عابدين (2020)، ص139.

الخامسة من قانون الأحزاب التي تنص في إحدى مبادئها على التزام الأحزاب المرخصة بأحكام الدستور كونها تحجم العمل الحزبي، لذلك تمثل هذا المسألة إحدى المعوقات التي تعيق التطبيق الفعلي لمواد القانون المنظم لعمل الأحزاب المرخصة.

**2)- غياب مفهوم التمكين السياسي للمرأة والشباب في العضوية المؤسسة للحزب:**

يُمثل مفهوم التمكين السياسي للمرأة وفئة الشباب إحدى المؤشرات الأساسية لقياس درجة التنمية السياسية في المجتمعات، وفي هذا المجال حددت بعض المؤشرات نسبة تمثيل المرأة والشباب بالثلث في مراكز صنع قرار الأحزاب المتمثلة بالمكاتب السياسية واللجان المركزية، وبالنظر لتلك المؤشرات في ضوء قانون الأحزاب السوري يمكن ملاحظة مدى غياب معايير واضحة في هذا الجانب تحقق التمكين للمرأة والشباب، على عكس تشريع القانون لشروطٍ حددت عدد الأعضاء المؤسسين للحزب والأعضاء المنتسبين إليه وفق تمثيل لنصف محافظات البلاد، وأدى غياب تلك المعايير في ضعف تمثيل المرأة في والشباب في المكاتب السياسية لبعض الأحزاب المرخصة حديثاً، وفي هذا الجدول عينة من بعض الأحزاب الجديدة تظهر نسبة تمثيل المرأة في المكاتب السياسية لها:

**جدول رقم (2):** يوضح نسبة تمثيل المرأة في المكاتب السياسية لبعض الأحزاب المرخصة حديثاً [26]

| اسم الحزب | نسبة تمثيل المرأة في المكتب السياسي |
|---|---|
| **حزب التضامن** | %27 |
| **حزب الشباب الوطني السوري** | %18 |
| **حزب الشباب للبناء والتغيير** | %36 |
| **حزب الشعب** | %9 |

26)- انظر: عابدين (2020)، ص163.

**ومن الجدول السابق يمكن ملاحظة** مدى ضعف نسبة تمثيل المرأة في المكاتب السياسية للأحزاب المرخصة حديثاً، الأمر الذي يتناقض مع معايير التمكين السياسي للمرأة وفق نسبة الثلث بالمئة في الحد الأدنى، وهي نسبة كانت غائبة لدرجة كبيرة لغالبية هذه الأحزاب، وهو ما يجعل من وجود مادة قانونية تنص على التمكين السياسي للمرأة والشباب أمراً ضرورياً في المواد الناظمة للقانون، لتكون هذه المادة موازية لشرط تمثيل أعضاء الحزب المؤسسين والمنتسبين له لنصف محافظات البلاد.

**3)- غياب التشريع القانوني لعمل التحالفات الحزبية (العمل الجبهوي):** نصّت المادة /35/ من قانون الأحزاب أن "أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية مرخصة حُكماً"27، وتمثل هذه الجبهة تحالف سياسي حكم البلاد منذ عام (1972) ويضم مجموعة من الأحزاب القومية والناصرية والشيوعية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي، وظهر إلى جانب هذا التحالف تحالفات سياسية عدة ضمت في صفوفها بعض القوى السياسية التي لم تنضم إلى الجبهة الوطنية التقدمية منذ نشأتها إلى المرحلة الحالية، كالتكتل الوطني الذي ضم في صفوفه بعض الأحزاب السياسية المرخصة حديثاً، إضافة إلى تحالفات سياسية أخرى فشلت في الاستمرار بالعمل السياسي الجماعي نتيجة الخلاف حول قيادة تلك التحالفات وحدوث الانشقاقات في صفوفها، لكن -رغم ذلك الأمر- يُعد غياب التشريع القانوني لعمل تلك التحالفات إحدى الأمور التي تطرح العديد من التساؤلات حول عدم وجود هذه المادة، وخاصة أن تشكيل الجبهة الوطنية التقدمية كان أحد أبرز محطات تنظيم العمل السياسي في البلاد، إضافة إلى أن القانون تعامل في مادته /35/ مع مصطلح (أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية)، وإلى جانب ذلك تمثل تجربة التحالفات السياسية إحدى أشكال العمل السياسي التي تمكن الأحزاب السياسية من تحقيق أهدافها وخاصة في تشكيل القوائم الانتخابية الحزبية الجماعية، الأمر الذي يحتم إعادة النظر في هذه القضية من خلال إيجاد مادة تعالج هذه الإشكالية.

27)- المرسوم التشريعي رقم /100/ المتضمن قانون الأحزاب.

**4)- الإعانات المخصصة من الدولة:** تُعدّ مسألة الإعانات المخصصة من قبل الدولة إحدى الأمور الإشكالية التي تُطرح من قبل بعض قيادات الأحزاب المرخصة حديثاً، إذ تنصّ مادتي /14/ و/16/ أن الإعانة المخصصة من الدولة للأحزاب هي إحدى أشكال الموارد المالية للحزب، التي تُقسّم من خلال حساب عدد الأصوات التي يحصل عليها كل حزب في انتخابات مجلس الشعب28، الأمر الذي يراه البعض معياراً غير عادل وخاصة أن الأحزاب الجديدة ليست بالثقل السياسي والشعبي التي تتميز به أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية، إضافة إلى كون الموارد المالية هي إحدى الأركان الأساسية في عمل الأحزاب وأنشطتها، إضافة إلى أن بعض التجارب السياسية العالمية تعمل على توزيع إعانة الدولة على أساس متساوي على جميع الأحزاب، أو من خلال حصول الحزب على جزء من الإعانة بشرط حصوله على مقعد واحد على الأقل من مقاعد السلطة التشريعية29، وفي هذا المجال تحتم هذه المسألة البحث عن آلية جديدة لتوزيع إعانة الدولة للأحزاب المرخصة بما يسهم في تعزيز مشاركتها في التنمية السياسية.

**من خلال ما سبق يمكن القول:** إن الإشكالية التي يطلقها بعض أمناء الأحزاب المرخصة حديثاً فيما يخص الإعانات المخصصة من قبل الدول للأحزاب المرخصة مرتبطة بحداثة تجاربهم الحزبية مقارنة بالتاريخ السياسي الطويل لأحزاب الجبهة الوطنية التقدمية، الأمر الذي انعكس على ضعف نتائج مشاركة الأحزاب المرخصة حديثاً بانتخابات مجلس الشعب المحدد الأساسي لحصول الحزب على جزء من تلك الإعانات، وهو ما يرجعه البعض إلى انقطاع التواصل بين تلك الأحزاب والرأي العام، إضافة إلى عوامل أُخرى مرتبطة بالضعف التنظيمي الذي تعاني منه تلك الأحزاب، لهذا السبب يطالب بعض أمناء تلك الأحزاب بإيجاد صيغة جديدة لتوزيع إعانة الدولة بما يحقق حصولهم على جزء من تلك الأموال التي تسهم في دعمهم بالأنشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق البرامج الخاصة بهم.

28)- انظر: المرسوم التشريعي رقم /100/ المتضمن قانون الأحزاب.

29)-انظر: ماغولووندو وآخرون (2012)، ص13 – ص16.

**رابعاً: النتائج والاقتراحات:**

**أ- النتائج:**

1)- يُعدّ قانون الأحزاب أحد مخرجات خطة الإصلاح السياسي التي أعلنت عنها الحكومة السورية منتصف العام (2011)، وأسهم في تنظيم عملية ترخيص الأحزاب من حيث وضع آليات التأسيس، وإعداد الأنظمة الداخلية وبرامجها بعيداً عن العشوائية من خلال وضع ضوابط حازمة كشرط الـ(1000) عضو في الحزب، وشروط أُخرى مرتبطة بموارد الحزب المالية التي حالت بين الظاهرة الحزبية ومفاسد المال السياسي عبر تحديد تلك الموارد باشتراكات الأعضاء وإعانات الدولة والاستثمارات غير التجارية.

2)- أسهم إصدار قانون الأحزاب السوري في تعزيز التعددية السياسية في البلاد من خلال إفساح المجال أمام الأحزاب المرخصة العاملة خارج إطار الجبهة الوطنية التقدمية من المشاركة في انتخابات مجلس الشعب، وفوز بعض أعضائها بعضوية المجلس كأحزاب (التضامن – الإرادة الشعبية – الشعب).

3)- بالرغم من المزايا التي أسهم فيها إصدار قانون الأحزاب في الحياة السياسية السورية إلا أن تطبيقه في الميدان السياسي يواجه بعض المعوقات كتقديم بعض الأحزاب الجديدة سياسة مناقضة لأحكام الدستور، إضافة إلى غياب مفهوم التمكين السياسي للشباب والمرأة عن الأعضاء المؤسسين للحزب، وخاصة أن القانون هدف لتحقيق تعزيز التعددية والتنمية السياسية في الميدان السياسي السوري، وإلى جانب ذلك مثّلت قضية عدم وجود نصّ تشريعي ينظم عمل التحالفات السياسية للأحزاب السياسية المرخصة إحدى أبرز المعوقات التي تعيق التطبيق القانون.

**ب- الاقتراحات:**

1)- إعادة قراءة قانون الأحزاب بعد مرور أكثر من عشر سنوات على إصداره في ضوء التطورات والأحداث التي حصلت في الساحة السياسية السورية، وتعديل بعض المواد بما يسهم في تعزيز التعددية والتنمية السياسية،

2)- تشكيل ورشات حوارية بين لجنة شؤون الأحزاب وقيادات الأحزاب السياسية المرخصة لتقييم واقع تطبيق القانون، وإعداد دراسات تقييمية ترصد التطور في مسار هذا الموضوع بعد إنجاز هذه الورشات.

## المصادر والمراجع

**أولاً: المصادر:**

1)- الحسن، إحسان محمد (1999) موسوعة علم الاجتماع، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات.

2)- الرازي، أبي بكر محمد بن شمس الدين (2018) مختار الصحاح، تحقيق أيمن الشوا، دمشق: دار الفيحاء.

3)- عمر، أحمد مختار وآخرون (2008) معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، القاهرة: عالم الكتاب.

4)- مجموعة مؤلفين، (د، ت) المرجع في مصطلحات علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة.

**ثانياً: المراجع:**

**أ- الكتب:**

5)- أبو حمود، حسن (2009) علم الاجتماع السياسي، دمشق: منشورات جامعة دمشق.

6)- ديفرجيه، موريس (2011) الأحزاب السياسية، ترجمة علي مقلد وعبد المحسن سعد، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

7)- سمرة، ياسر سمرة (2017) الأحزاب السياسية العربية ودورها فى بنية الدولة وعلاقاتها الخارجية، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

8)- صاصيلا، محمد عرب (2013) القانون الدستوري والنظم السياسية، ط1، دمشق: دار الأنس.

9)- عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح (2005) الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، لا يوجد دار نشر.

10)- ماغولووندو، أوغسطين وآخرون (2012) تنظيم تمويل الأحزاب السياسية، لاهاي: المعهد الهولندي للديمقراطية المتعددة للأحزاب.

**ب- الرسائل والأبحاث العلمية:**

11)- أقيس، محمد (2020) تمويل الأحزاب السياسية في النظام الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 31، العدد 2، ص167 – ص180.

12)- ونوس، باسم (2016) الأحزاب السياسية ودورها في بناء النظام الديمقراطي -سورية نموذجاً، مجلة جامعة البعث، المجلد 38، العدد 24، ص11-ص.46

13)- عابدين، ماهر (2020) الأحزاب السياسية في سورية بين عامي (2010 / 2018)، بحث علمي مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم علم الاجتماع، دمشق: جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

14)- المحجوبي، إسماعيل وبشيربادي، أحمد (2020) قراءة في قانون تنظيم الأحزاب السياسية الليبي، مجلة العلوم السياسية والقانون، المجلد 4، العدد21، ص85 – ص100.

**ج- الدساتير والمراسيم والقوانين:**

15)- دستور الجمهورية العربية السورية لعام (1950).

16)- دستور الجمهورية العربية السورية لعام (1973).

17)- دستور الجهورية العربية السورية لعام (2012).

18)- المرسوم التشريعي رقم /100/ لعام (2011) المتضمن قانون الأحزاب.